

عن صديقي #سعید_الجن:
«المُحافظَةُ على أطلال «الدَّولة» يَفْتَضِي،
في عِدَادٍ ما يَفْتَضِي، تُوهِينَ «الدَّويْلَةَ» وإضعافها.
أثْمَانُ التَّوهِينِ بَحْسَةً مَهْمَا بَدَتْ، لِلْوَهْلَةِ الأُولَى، باهْظَةً...».

Documentation & Research
للوثائق والأبحاث



سجال مفتوح على هيئة مطبوعة تصدر عن أمم للوثائق والأبحاث

في مواجهة كل هذا العبث، هناك مبادرات

ما العبث؟ أن يستمر التدمير الممنهج الذي يطال مناطق الجنوب اللبناني وينعكس ذلك على كل مساحة الوطن، وأمحاء ذاكرة المكان والزمان الذي تحمله الجدران والأسقف والساحات والطرق، منذ ثمانية أشهر وأكثر، أن نعيش هاجس التهجير والتدمير التام والشامل، وانهارت شبكات التعلم والتعليم والطبابة والزراعة والصناعة وكل ما يربط الإنسان بمكان ما وبأرض ما، ومقابل ذلك أن تستمر الحشود، ومحركاتها الألكترونية، بالصراخ بخوض البحر وترداد شعارات النصر الآتي من خلف شاشةٍ وتحففل بذكراه وترهن البلاد لساحاته؟

ما العبث؟ أن يموت رئيس جمهورية «إقليمية» تسيطر على حاضر بلادنا ومستقبلنا ورؤيتنا الدنيوية والأخوية، أن يموت وليها وفقهها المرشح، بسبب انعدام الرؤية الناجم عن سحابةٍ عابرة؟

ما العبث؟ أن ترتفع أصوات العدالة في قضية مقتل مصوّر صحفي لبناني في حرب العبث القائمة، وأن يأتي وقت محاسبة القاتل ومقاضاته، ثم يُقفل على القضية بصمت بحجة أنه لا يمكن تحمّل اللبس الذي يمكن أن ينتج عنها، والخوف من أن تُفتح أبواب العدالة على ممرات محرّمة؟

ما العبث؟ أن تُصبح البلاد وتُسمي على أخبار أمنية، على عملية قتل واغتيال هنا وموت وسلب وحرقت هناك، أن نشعر بتفككها اليومي على كل المستويات، أن تُصبح البلاد وتُسمي على فراغها الدستوري والاقتصادي والعلمي وأن لا نشعر بأفقي لأي حل؟

في مواجهة كل هذا العبث تقوم بعض المبادرات، بعض ورش التفكير والتحليل والبحث عن سُبل اجترار حلول، أو رسم خارطة طريق لها... ولا بدّ أن نصل.

عودٌ على بدء... إطلاق «أمم بيبليو» ستوديو بعلبك في «الهنغار»

الافتتاح: الخميس الواقع فيه ٦ حزيران ٢٠٢٤، من ٣ عصرًا حتى ٧ مساءً

لزيارة المعرض: من الاثنين إلى الجمعة من الساعة ١١ ظهرًا حتى ٥ مساءً



عودٌ على بدء...
إطلاق أمم بيبليو
Re-Launch
of UMAM Biblio

ستوديو بعلبك
في الهنغار
Baalbeck Studios
in the Hangar

المقتنيات المادية أو الرقمية للمجموعات الأرشيفية تنمو وتتوسّع باستمرار.

تمّ تحديثُ منصّة «أمم بيبليو» بحلتها الجديدة بدعم من وزارة الخارجية الألمانية، بعد أن دعمت السفارة السويسرية في بيروت تطوير النسخة الأولى منها.

منصّة «أمم بيبليو» مهداة إلى لقمان سليم، مؤسس «أمم للوثائق والأبحاث» ومديرها المشارك، الذي اغتيل في جنوب لبنان في ٣ شباط/فبراير ٢٠٢١، والذي يثابر فريقنا على الحفاظ على إرثه حيًا، وعلى إنجاز واستكمال ما باشر به.

يحظى المعرض بدعم برنامج «حمية التراث اللبناني اللامادي المهذّب» (المعهد الفرنسي، بيروت). وهو جزء من شبكة «مرصد التراث الحديث». كما أنه يتزامن مع اليوم العالمي للأرشيف في التاسع من حزيران/يونيو. ونشكر معهد فنون السينما والفيديو في برلين - أرسنال، على جهده في رقمنة المواد الفيلمية التناظرية.

يسرُّ «أمم للوثائق والأبحاث» أن تدعوكم إلى إطلاق النسخة الجديدة من فهرس أرشيفها «أمم بيبليو» مُرفقًا بعرض لباقة من مقتطفات أفلام من مجموعة ستوديو بعلبك.

سعت «أمم للوثائق والأبحاث» منذ نشأتها عام ٢٠٠٥، إلى وضع محفوظاتها الأرشيفية التي تشمل دوريات ومنشورات ووثائق مكتوبة ومواد سمعية وبصرية وصورًا يتعلّق معظمها بلبنان وتاريخه الحديث، تحت تصرّف الراغبين باستخدامها.

تنطلق مؤسسة «أمم للوثائق والأبحاث» من قناعتها أنّ للأرشيف دورٌ محوريٌّ في إنتاج معارف متنوّرة وفي إثراء النقاش العام، فعملت على إنشاء منصّة تُتيح لزوّارها الوصول إلى الفهارس الورقية والموادّ المرقمنة.

منصّة «أمم بيبليو/فهرس» مكتبة «أمم للوثائق والأبحاث» متوفّرة بنسختها العربية للمحتوى العربي، والإنكليزية للمحتويات باللغات الأخرى - ومعظمها إنكليزي. وتُشكّل بطبيعتها مادة حيوية، إذ إنّ

محتويات العدد

المرأة الشيعية، مشاركة الشيعيات في الانتخابات النيابية	صفحة ٧
من يوميات الإفلات من العقاب: قضية عصام العبدالله وحكومة الدّمي المتحرّكة	صفحة ٧
بعلبك الهرمل، ضرورة العمل السياسي والمدني للخروج من واقع قاتم (أحمد مطر)	صفحة ٨
اللبنانيون الشيعة الواقع والرؤيا (١) من الانخراط في الدولة والكيان إلى الهيمنة عليهما (عباس هدلا)	صفحة ٩
جغرافيا وسكان - مدينة صور	صفحة ١٠
فكر وثقافة: عباس بيضون	صفحة ١١
تحيّة للقمان - هنا المقبرة التي يشاهدها العالم بصمت (باسل ف. صالح) / سير التحقيق	صفحة ١٢

عودٌ على بدء... إطلاق «أمم بيبليو» ستوديو بعلبك في «الهنغار»	صفحة ١
في مواجهة كل هذا العبث، هناك مبادرات	صفحة ١
أطفال «حزب الله»، صناعة «الأنصار» من «الصّف» إلى اللّحد	صفحة ٢ و ٣
لبنان يدخل معارك غير متكافئة... والباق الورقة الرابعة في كل حرب على حساب أبنائها (حسن سديان)	صفحة ٤
هل لا يزال ممكنًا أن يخرج من الطائفة الشيعية مشروعٌ سياسيٌّ معارض للثنائي؟ (علي خليفة)	صفحة ٥
ورشة عمل لـ«أمم للأبحاث والوثائق» و«حركة تحرر» بعنوان «المجتمع اللبناني التعدي وتحديات الأنظمة الموازية في الإعلام والاقتصاد والتربية»	صفحة ٦

أطفال «حزب الله» صناعة «الأنصار» من «الصف» إلى اللحد



تقيمها هذه المدارس، والحضور السياسي على وجه الخصوص في نشاطات ثقافية يُفترض أن يحضرها الملحق الثقافي الإيراني وليس المستشار السياسي للسفير الإيراني. وأيضاً يمكننا أن نعيد النظر في فهم الهدف وراء تعليم اللغة الفارسية، كلغة أجنبية ثانية، في مناهج «مدارس المهدي».

المخيل: إن صناعة مخيال الطفل في هذه المدارس تتم وفق ثنائية «البطل - العسكر»: إن شخصية «البطل» لدى الطفل تفترض أن من ضمن الشروط الضرورية للبطل حتى يكون بطلاً هو أن يكون أحد «الشهداء» أو «المجاهدين» في المحور الإيراني. وتأكيداً على الرّبط بين شخصية البطل من جهة والانتماء إلى إيران من جهة أخرى تمت تسمية المباراة المركزية التاسعة للغة الفارسية التي تقيمها مدارس «المهدي» باسم «مباراة الشهيد قاسم سليمان». والمعنى نفسه تُؤكّد عليه الدكتورّة فياض في معرض تحليلها لإحدى الصور التي تجمع قادة عسكريين في المحور الإيراني، كعماد مغنبة وقاسم سليمان، مع عبارة «دام رعبكم». وتُضيف فياض أن هذه الصورة تحمل معنىً مفاداً: «لدينا أبطالاً رعب، وهؤلاء هم أبطالنا». وبحسب الدكتورّة فرج، فإن وجود كل هذه الرموز التي ترتبط بشخصية الشهيد/المجاهد يساهم في تشكيل الصورة النمطية للبطل/المثال في البناء النفسي للطفل، وهذا يؤلّد في لواعبه رغبةً ودافعيةً ليكون على هذه الصورة. وإذ إن هذه الصورة هي الصورة الوحيدة المتوفرة للطفل فإن التماهي معها سيكون أكثر تلقائيةً لديه.

والرّكيزة الثانية يُمكن تسميتها بـ«عسكرّة المخيال». فالى جانب النشاطات المدرسية ذات البعد العسكري، أو «الجهادي» (يوم الشهيد، سحور مجاهد، الشهداء القادة...)، تأتي مجلة «مهدي» وموقع «العاب فاوم» التابعين لحزب الله لترسيخ العنف والسلاح في مخيال الطفل وجعلها جزءاً منه. وفي ما يلي نبذة عن هذه «الألعاب»:

مُساعدةً «ارنوب» لعبور حقل من الألغام؛ تلوين المعدّات «التي يحتاجها المقاوم في المعركة»؛ ستيكرات على شكل بندقيّة وقنبلة يدويّة «لتنفاعل» الطفل معها بحسب ما تُعرّف المجلة عن محتوياتها به. أمّا ألعاب الموقع فهي كما يُعرّف عنها الموقع: «سلسلة من الألعاب (...) تحطم من خلالها العدو الصهيوني وتزيله من خارطة الوجود (...) بسواعد مجاهدي المقاومة الإسلامية». ومن هذه الألعاب مثلاً: «سلسلة ألعاب التحرير»: تُجسّد عمليات حزب الله بين ١٩٨٢ و٢٠٠٠؛ «العدو في المرمى» تثبت أن لبنان هو مقبرة للغزاة الصهاينة؛ «لعبة الدفاع المقدّس» تُمثّل مواجهة حزب الله لل«مشروع التّكفير» ومواجهة المشروع الأميركي-الصهيوني». وممّا يجدر ذكره أن عنوان «الدفاع المقدّس» هو التسمية الإيرانية لحربها مع العراق (١٩٨٠ - ١٩٨٨). أي أن حزب الله صنع لعبةً تحمل اسم كل محطة أساسية من محطات المشروع الإيراني في المنطقة. والجدير بالذكر أن سياسة الألعاب هذه ليست من ابتكار حزب الله، إذ إن شركة Activision الأميركية قد استحدثت نسخةً من سلسلة ألعاب Call of Duty (نداء الواجب) تحاكي احتلال العراق، وغيره من العمليات العسكرية الأميركية في المنطقة، بحيث يكون اللاعب جديداً في الجيش الأميركي.

وتبرز خطورة هذه الألعاب، بحسب الكاتبة في أدب الأطفال والنّاشئة فاطمة شرف الدين، في أنّها «تذهب بعيداً في جعل السلاح والعنف جزءاً من مخيلة الطفل ومن حياته اليومية». وتُشبه الدكتورّة فياض هذه الحالة بـ«المجتمع الإسبرطي» حيث تُربي الدولة الأطفال تربيةً عسكريّةً مكثّفةً تحوّلهم إلى جنودٍ مُطيعين لل«قائد» طاعةً مُطلقةً. وحول خطورة هذه الألعاب كما وصّفتها لقمان سليم أن «حزباً يدخل إلى ألعاب الأطفال [و] إلى

«المهدي» للتعريف به واختتم به «ترداد مقطع من نشيد خميني إننا لك الأوفياء مع رفع صوره». إضافةً إلى «نشاطات» أخرى مثل: «سحور مجاهد»، مجالس عزاء و«لطم»، إحياء «يوم الشهيد»، تكريم «أمّهات الشهداء» في عيد الأم، نشاطات مع جمعية «إحياء التراث المقاوم»، وغير ذلك من «النشاطات» التي تجعل من الصّعب جداً، على المراقب، أن يُميّز بين هذه المدارس وبين المراكز الجزئية.

تقوم هذه «النشاطات» التي تستهدف هذه الفئات العمرية (٤ - ١٨ سنة) بتقديم الصورة الذهنية المُستقبلية الواجب على الطفل أن يعمل ليكون عليها. وحول تأثير

هذا المناخ على التكوين النفسي للطفل، يقول الدكتور في علم النفس داود فرج أن هذه «النشاطات» تؤدي إلى ما يُسمى في فلسفة التربية بـ«عملية تميّط الشخصية». ويُضيف فرج أن النمو النفسي للطفل، بين سن ٦ إلى ١١ سنة، يقوم على آلية التماهي: تماهي الولد مع الأب والبنات مع الأم. وعبر هذه «النشاطات» يتمّ تقديم «القائد الولي» بديلاً عن الأب كمودج للتماهي معه، بحيث يكون «القائد» امتداداً للأب، وما يرتبط بالأب، لدى الطفل طبعاً، فإنه يرتبط أيضاً بـ«القائد» الذي يُصغّر الأب البديل الذي يُسلّم له الطفل بالطاعة المطلقة (البيعة والولاء). أي أن هذه «النشاطات»، بتعبير فرج، «تشدّ الطفل إلى هذا الاتجاه كي يتبناه عندما يكبر»، وبذلك تتحوّل العلاقة بين الطفل المُستهدف و«القائد» إلى علاقة نفسية. وتالياً، فإنّ الانتماء إلى المحور الإيراني، الذي يُشكّل «حزب الله» أهم أركانه، يُصبح ضرورياً للطفل الذي يرى ما نشئ عليه حلماً يُريد تحقيقه.

وُمكن، عند مقارنة تأثير هذه «النشاطات» على البناء النفسي للطفل، ملاحظة تأثيراتها على مفهومين أساسيين يعمل «حزب الله»، من خلالهما، على صناعة صورة الجيل الجديد لنفسه وللآخر:

الانتماء: يعمد «حزب الله» إلى تخفيض الانتماء الوطني لدى هؤلاء إلى مرتبة أدنى من الانتماء الديني/الجزبي، عبر كمّ هائل من النشاطات التي تجعل الأطفال معنيين بقضايا لا تعني كل اللبنانيين في شيء، بل إن معظمها يتناهى بشكل واضح مع جوهر التربية الوطنية؛ كالاحتفال بذكرى عودة الخميني إلى إيران أو بيوم وفاته؛ كـ«الولاء والبيعة» للخامنني، وغيرها من هذه الشعارات التي تفهم الطفل أن هذه المناسبات تعنيه وتعني وجوده في هذا العالم، وتُمثّل كيانه المعنوي، أكثر من عيد الاستقلال اللبناني مثلاً. وحول تأثير ذلك على الانتماء الوطني للطفل، تقول الدكتورّة في علم النفس الاجتماعي منى فياض إن الأطفال، خلال مراحل تكون شخصيتهم، يتأثرون بشكل كبير بكل ما يتعلّمونه خلال هذه الفترة، وبخاصة إذا كان المُعلّم المرئي يحدّ مثلاً أعلى بالنسبة للطفل. وتُضيف فياض أن الانتماء الوطني لدى الطفل هو نوع من التدريب أيضاً، ويتمّ عبر آليات معيّنة وعبر خلق صور و«أساطير مؤسّسة» ومثالات ونماذج مرجعية يسترجعها الطفل لاحقاً ويبنى عليها عند اتخاذ الخيارات. ويزداد تأثير هذه «النشاطات»، بحسب الدكتورّة فياض، حين تحوّل الطفل بشكل كامل زمانياً ومكانياً بحيث تكون هذه النماذج هي الخيار الوحيد المُتوقّف له.

والأخطر من كل هذا هو أن مدارس «المهدي» تُمارس سياسة «تفريس» مُقنعة، إذ إنّها تحاول تطبيق النموذج الإيراني في التعليم. وهذا يظهر بوضوح في كتاب بعنوان «المباني النظرية للتحوّل البنيوي في نظام التربية والتعليم الرسمي والعام في جمهورية إيران الإسلامية»، وهو الرؤية التي أقرها المجلس الأعلى للتربية والتعليم في مدينة مشهد الإيرانية عام ٢٠١٠. ويقول المدير العام للمؤسسة الإسلامية للتربية والتعليم الدكتور حسين يوسف أن هذا الكتاب شكّل «نقطة تحوّل في مقاربة قضية التّأصيل التربوي» في هذه المدارس. وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن أحد الأصول النظرية التي بُنيت عليها الرؤية الموجودة في الكتاب هو «خطاب الثورة الإسلامية» الذي يقوم على أفكار الخميني والخامناني و«كبار رجال الثورة الإسلامية»، فيمكن الخلوص إلى أن اعتمادها أساساً للرؤية التربوية لـ«مدارس المهدي» هو الامتداد الثقافي والتربوي، إن جاز التعبير، لشعار «تصدير الثورة» الذي رفعه الخميني عام ١٩٧٩. فإيران، عبر حزب الله، تستخدم الدين والثقافة والتعليم كوسائل للسيطرة والتحكّم بالأجيال التي تُخرّجها هذه المدارس. وفي ضوء هذا يمكننا أن نفسر الحضور الإيراني الرسمي في الاحتفالات والنشاطات التي

يكاد يُجمع المعنيون بالدراسات الإنسانية أن الطفولة هي أكثر مراحل الإنسان العمرية خطورةً وحساسيةً لأنها الفترة التي يتشكّل فيها وعيه ولاوعيه. وممّا يلقي قبولاً لدى شريحة واسعة من دارجي السلوك الإنساني هي النظرية التي لخصها الفيلسوف الإنجليزي برتراند راسل بما مفادها: «الناس لا يُولدون أغبياء، بل جهلاء. ثمّ يصيرون أغبياء». وبغض النظر عن ماذا يُولدون وإلى أيّ يصيرون، فإن القضية الأساس هي وجود عملية تصنيح للذهنية التي تحدّد سلوك الفرد في كل ميادين الحياة، وأهمها بلا ريب الميدان السياسي.

في عالم السياسة، تعمّد التنظيمات العقائدية، دينيةً وغير دينيةً، إلى بناء قاعدة شعبية مُؤدّجة يصعب اختراقها بالعقل والمنطق تماماً كما يصعب بالعاطفة. وممّا تختلف فيه التنظيمات العقائدية عن غير العقائدية هو أن الأولى تُفضّل «تربية» القاعدة الشعبية أكثر من «استقطابها»، إذ إن أحكام السيطرة على الجمهور «المرئي» والتحكّم به أسهل وأكثر مضمونيةً، على المستوى البعيد، من عند الجمهور «المستقطب». وهذا ما يُفسّر اهتمام هذه التنظيمات بـ«تربية» الأطفال وإعادة خلقهم على الصورة التي تُناسب المشروع السياسي للتنظيم «المرئي». على المنوال نفسه قام «حزب الله»، ويقوم، بتربية الأجيال الجديدة من مناصريه في ثلاثة فضاءات أساسية إلى جانب الفضاء الجغرافي الأوسع الذي يُسيطر عليه الحزب: المدارس، الكشافة والمساجد والحوزات. وبالرغم من أن لكل من هذه الفضاءات خصوصيتها المُفترضة، فإنها في المُحصلة تتكامل لـ«تصير» الأجيال الجديدة إلى الصورة التي يُريد «حزب الله» لها أن تكون عليها.

«مدارس المهدي» ومشتقاتها:

صناعة الانتماء والمخيال

منذ العام ١٩٩٣، أنشأ «حزب الله» شبكةً من المدارس الخاصة به تحت اسم «مدارس المهدي»، التابعة للمؤسسة الإسلامية للتربية والتعليم. وتضم «مدارس المهدي» اليوم ١٨ فرعاً في لبنان: ٨ منها في الجنوب، ٤ في البقاع و٣ في بيروت، إضافةً إلى فرع، هو الأصغر بين كل الفروع، في مدينة قم الإيرانية مُخصّص للجاليات اللبنانية والعربية. وبحسب الموقع الرسمي لهذه المدارس، فإن متوسط المساحة العقارية لفرعها في لبنان يبلغ حوالي ١٠,٨٨٦ م^٢، بينما يبلغ متوسط مساحة البناء حوالي ٥,٤٥٨ م^٢. أمّا المُدرّة الاستيعابية، لثلاثة عشر فرعاً منها فقط، فتبلغ ١٨,٢٠٨ تلاميذ. وهذا الرقم يُشكّل حوالي ٤٤٪ من عدد الطّلاب في المدارس الشعبية الخاصة غير المجانية للعام ٢٠١٩ - ٢٠٢٠ والذي يبلغ ٤١,٥٤١ طالباً بحسب الشركة الدّولية للمعلومات. وممّا تجدر الإشارة إليه عند التعريف بهذه المدارس هو أنّها مدارس خاصة جداً إلى الحد الذي يرفض فيه حزب الله أي نوع من الرقابة عليها من قبل المرجعية الشعبية الرسمية فضلاً عن الحكومة اللبنانية.

في رحلة إلى موقعها الرسمي ومطالعة لمحتوياته يُمكن تكوين صورة حول البيئة المعنوية التي ينشأ فيها «الطالب» استناداً لمُعطيّين أساسيين: طبيعة «النشاطات» التي تقيمها المدرسة للطّلاب، والنصوص التي يكتبها بعض الطّلاب «بأقلامهم» على صفحة الموقع.

في عناوين النشاطات الرئيسية لطّلاب «المهدي»، يصعب أن تجد عنواناً يوحي بأن هذه المدارس تُمارس نشاطها التعليمي في لبنان، إذ إن هذه النشاطات، حتى الترفيهي منها، ذات طبيعة حزبية ودينية لا تعني أحدًا سوى حزب الله والمحور الإيراني. وفي ما يلي عيّنة عن أبرز هذه «النشاطات»:

نشاط لصفّ الرّوضات (دون ٦ سنوات)، بمناسبة «الشهداء القادة [بعنوان] هداية الدّرب [تخلّله] سرد قصّة حول المناسبة، عرض حلقة من [البرنامج الكرتوني] «الطفل والمحتل» وأناشيد حماسية وهتافات». اختتم أحد الأعوام الدّراسية للحلقة الأولى (٦ - ١٠ سنوات) بنشاط ديني حُتم بالأناشيد «الثورة والحماسية [و] نشيد سلام يا مهدي». وفي مناسبة «عشرة الفجر ويوم القائد»، وهي المناسبة التي تحتفل فيها إيران بعودة الخميني إلى إيران عام ١٩٧٩، أُقيم احتفالاً لكافة المراحل التعليمية (٦ - ١٨ سنة تقريباً)، وقد ورد في الموقع الرسمي حول هذا النشاط ما نصّه:

«اجتمعت القلوب على حبّ قائدها (...) وعلّت صيحات الحناجر ودوت، لتعلن الحُبّ والولاء للسيد الولي الخامناني المُفدى [وأعلنوا] بفخر واعتزاز «نحن عُشاق الولاية» [وأعلنوا] البيعة والولاء والمضي قدماً خلف قائدهم وعلى دربه في السلم والحرب [حتى] ظهور [المهدي]».

وبمناسبة وفاة الخميني أُقيم نشاط في إحدى ثانويات

لبنان يدخل معارك غير متكافئة... والبقاع الورقة الراححة في كل حرب على حساب أبنائها

حسن سنيان



غارة على بعلبك، المصدر: المركزية

أكثر من ٩٠ في المئة من قيمتها منذ عام ٢٠١٩.

ترافق مع خطاب نصر الله، أولى الضربات الإسرائيلية منذ نهاية حرب تموز على إحدى مقرات الحزب في مدينة بعلبك شرق لبنان في السابع والعشرين من شهر شباط ٢٠٢٤، نحو العمق اللبناني، كاسرة الكثير من قواعد الاشتباك، مع تصعيد مشحون لكلا الطرفين بالدلالات حول القدرة التدميرية والعسكرية لهما فكان من المهم بالنسبة لـ«حزب الله» إدخال البقاع معادلة الحرب مع إسرائيل خصوصاً عقب استهداف

الحزب منطقة الجولان السوري مقابل كل تصعيد إسرائيلي على البقاع لتصبح المعادلة «البقاع مقابل الجولان».

هذه «المعادلة» التي رُسمت، مؤخراً خلال المواجهات الدائرة بين الحزب وإسرائيل هي خريطة جديدة بالمنطقة تتحضر، وقُدِّر على أهل البقاع أن يكونوا جزءاً منها «ليس بإرادتهم بل فُرض على أبنائها دفع الثمن»، كما يقول عباس زكي إسماعيل رئيس بلدية بريتل السابق لـ«فان رقم ٤».

ويضيف: «نحن ليس لدينا مشكلة بأن نكون جزء من المعركة بل يجب علينا مواجهة إسرائيل، لكن المشكلة أن هناك تحلُّ عربي وإسلامي عن القضية الفلسطينية، هذا التحلُّ ليس بمقدور لبنان أن يحمله وحده في ظلَّ انعدام البنى التحتية بعد انهيار الدولة، كما أن أهل البقاع والبنانيين عموماً تمَّ إقحامهم في هذه المعركة دون إمكانيات بل بأجندات ليس نحن من حضرها بل أرغمتنا عليها».

أما عن الشلل الاقتصادي في البقاع، يقول إسماعيل: «قبل الحرب وعندما كنا نقول إنه يوجد دولة كانت منطقة البقاع تعاني من انعدام أمني وتفكك اجتماعي وانهيار اقتصادي، فما بالك اليوم في ظلَّ انهيار الدولة، صحيح أن منطقة البقاع ليست بمرحلة مواجهة ميدانية مباشرة بل باتت جزءاً من المواجهة، نحن نقبل المواجهة ولكن أقمنا فيها دون تحضير».

لقد بلغ عدد الاستهدافات الإسرائيلية لمقرات الحزب في مدينة بعلبك والقرى المجاورة لها حوالي أكثر من ١٦ ضربة، حسب ما ذكرته وسائل إعلام لبنانية، طالت أيضاً منازل عدد من المدنيين، حيث تتركز مقرات الحزب بين تلك المنازل. مع العلم بأنه قد سقط لـ«حزب الله» منذ بداية مشاركته في ما سماه إسناد معركة «طوفان الأقصى» ما مجموعه حوالي ٢٥٨ عنصراً من بلدات الجنوب و٥٠ من البقاع منذ بداية الحرب بحسب الدولية للمعلومات.

نتائج مكتسبة والثمن على حساب أبناء المنطقة

تحققت المكاسب السياسية والعسكرية لـ«حزب الله» على حساب أبناء المنطقة في كلا الحريين، فكانت نتيجة الانخراط في الحرب السورية، تحوُّل المناطق الحدودية من بعلبك حتى سوريا تحت سيطرة ميليشيات متفئة، وطريق رئيس لتهديب الأسلحة والمخدرات والمخدرات، لسدِّ الخسارة مع الحليف السوري وإنشاء منطقة اقتصادية سوداء، وصولاً إلى حرب «نصرة غزة» التي تحوَّلت فيها البقاع إلى منطقة استراتيجية مهمة لـ«حزب الله»، حيث يتواجد فيها وحدات جوية للحزب ومطارات لطائرات دون طيار، إضافة إلى معسكراته التدريبية التي يدرب فيها أكثر من فصيل مسلح بينهم عناصر من حركة حماس، وسرايا الدفاع التابعة للحزب، والجماعات الإسلامية، الأذرع المساندة للحزب في المنطقة بهدف إظهارها كقوة في وجه إسرائيل على حساب أبناء المنطقة.

هذه النتائج تحمّل أعباءها أبناء منطقة البقاع على كل الصعيد الاقتصادية والأمنية والاجتماعية، خصوصاً في حالة الانهيار التي يمر بها لبنان اليوم ويتأثر بها بشكل كبير أبناء منطقة البقاع الذي يعاني من حالة حرمان مستمرة، لكن كل مرة هناك أساليب وشعارات ممجوجة يلجأ إليها «حزب الله»، وهي المال مقابل الدم، وبين معركتي «طريق القدس» ٢٠٢٤ و«الدفاع المقدس» ٢٠١٣، تتشابه الأدوات السياسية والأيدولوجية، عبر زجَّ منطقة البقاع بذات الطريقة وليس الفارق سوى عشر سنوات بينهما، إلا أن النتيجة واحدة هي انهيار اقتصادي وازدياد التفكُّت الأمني والحرمان ما يدفع ثمنه أبناء منطقة البقاع ويجني مكاسبه السياسية «حزب الله» وحليفه الإيراني.

في ٤ آب ٢٠٢٠ والشلل في مؤسسات الدولة ووصولها إلى حدِّ الانهيار، وكان أثرها كبيراً على لبنان بشكل عام، الأمر الذي انعكس سلباً على منطقة البقاع بشتى الأبعاد كونها منطقة مهمشة من قبل الثنائي من جميع الجوانب.

بطبيعة الحال فإن الجو العام في هكذا وضع يميل إلى تمثني أن لا يتمَّ جرَّ الناس إلى حرب أخرى مماثلة للحرب السورية فكيف إذا كان الأمر على شاكلة زجهم بطريقة مباشرة في المعارك الدائرة بالجنوب.

«طوفان الأقصى».. طريق القدس يمر من البقاع

كانت معركة «طوفان الأقصى» في السابع من تشرين الأول ٢٠٢٣، محطة مفصلية شبيهة بما حدث في عام ٢٠١١، والانجرار إلى الحرب السورية، وسط تخوُّف من الانزلاق نحو حرب جديدة. وبالفعل بعد خمسة أيام من دخول «حزب الله» المواجهات مع إسرائيل، ساد التوتر في الشارع اللبناني حول تصاعد الأحداث وخصوصاً منطقة البقاع التي تُعتبر المنطقة الأكثر تضرراً من الناحية الاقتصادية، متساقلين ماذا سيحدث خلال الأيام القادمة وهل هناك حرب شاملة؟

أراد الأمين العام لـ«حزب الله» حسن نصر الله الإجابة على هذا السؤال مع إبقاء الشارع في حال من التوتر، عبر الظهور عبر مقام السيدة خولة في بعلبك في الثالث من تشرين الأول ٢٠٢٣، مخاطباً اللبنانيين عموماً وأهل البقاع خصوصاً، معلناً بهذه الخطوة دخول البقاع ساحة المعركة، كون الخطاب انطلق من أهم مركز ديني في البقاع لتحريك هذه المنطقة، وإعلان انخراط حزبه في الحرب مع إسرائيل ولو بطريقة غير مباشرة، تحت عنوان «مساندة أهل غزة» كون القضية الفلسطينية قضية محورية وليست لبنانية فقط، وسرعان ما انخرط عناصر من الحزب من أبناء البقاع في الحرب الدائرة مما زاد سوء الحالة الاجتماعية وتوقف شبه كامل للمصالح الاقتصادية في المنطقة، حيث كشف نائب رئيس غرفة زحلة والبقاع في ٦ تشرين الثاني ٢٠٢٣، منير التيني أن «منطقة البقاع جزء لا يتجزأ من لبنان، وحال القطاعات الاقتصادية في البقاع كحال سائر القطاعات في البلد التي تترج تحت وطأة تداعيات هذه الحرب».

أما على أرض الواقع فلا يوجد أرقام تؤكد حجم الخسائر الاقتصادية في منطقة البقاع، لأن أغلب اقتصاد المنطقة قائم على المصالح اليومية، وأغلب الشركات، إن وجدت فهي للثنائي الشيعي وما تبقى فهو موزع على الفئات الأخرى بشكل أقل. بالإضافة إلى ذلك يقول الشيخ عبد السلام دندش من عشائر بعلبك خلال حديثه لـ«الفان رقم ٤»، في رأي قد يكون فيه شيء من المبالغة والطرافة إلا أنه يعبر عن واقع الحال الأمني والسياسي: «الحرب لن تؤثر على منطقة البقاع كونها مركزية على تجارة الكبتاغون، في النهار، في المقابل، لا أحد يخرج بعد الساعة مساءً في ظلَّ هذه الأوضاع المتفكِّتة أمنياً، حيث أصبحت منطقة البقاع مشلولة اقتصادياً وتعتمد على تجارة الكبتاغون وسرقة السيارات، وتشهد حالة من الفلتان الأمني في ظلَّ هذه الأوضاع».

ويضيف: «كانت المنطقة فيها نوع من التنفُّس لكن منذ سبعة أشهر وتوسَّع الحرب شلَّت الحركة بالكامل، وخلال ذلك كادت العشائر في بعلبك أن تقوم بوجه «حزب الله» لكنه استغلَّ الفئات المتفكِّتة فيها، وجنَّدتها تحت رايته، واستغلَّهم بالأموال أو لقمة العيش مقابل السكوت». ويكمل دندش أن «زج «حزب الله» للبقاع في حرب جديدة يجبر الحزب على أن يدفع الأموال لأهل المنطقة المعدمين مقابل سكوتهم لا بل مقابل دمايتهم فهو أرد إدخال هذه المحافظة المعركة مستغلاً لقمة العيش عند أبناء المنطقة، ويصبح هو الأكثر حاجة لرضى الناس في حال تذرهم من توسُّع الضربات على البقاع، إذ لا يوجد مصالح في البقاع سوى التابع لـ«حزب الله» من تهريب مازوت وتجارة كبتاغون، والعصابات على الحدود، ولعل هذا التذرُّم يكون خطوة أولى للثورة بوجه «حزب الله»».

وفي ١٧ نيسان ٢٠٢٤، كشف وزير الاقتصاد والتجارة في حكومة تصريف الأعمال اللبنانية، أمين سلام، في مقابلة مع قناة «سكاي نيوز عربية» إن «خسائر لبنان الاقتصادية جراء الحرب الجارية في غزة وجنوب لبنان وصلت إلى ١٠ مليارات دولار».

تداعيات هذه الحرب ليست فقط على البقاع التي تعتبر المنطقة الأكثر تهميشاً ومنهكة اقتصادياً بل على لبنان كافة. لقد حدَّر تقرير لـ«واشنطن بوست» من أنه في حال شملت الحرب مناطق أكثر، فإن «الوضع مختلف تماماً اليوم، عن حرب تموز عام ٢٠٠٦، آنذاك كان لدى لبنان اقتصاداً يعمل بكامل طاقته، وكان لديه نظام مصرفي فعال يوفر الائتمان للقطاع الخاص ويساهم في النمو، وكانت لديه حكومة، ورئيس جمهورية. إذ تأتي التطورات الحالية، سواء الحرب والتداعيات الاقتصادية، في ظل أزمة سياسية حادة تتمثَّل على وجه الخصوص بشغور منصب رئيس الجمهورية منذ أكثر من ١٥ شهراً، ووجود حكومة تصريف أعمال تحول الانقسامات السياسية والقوانين دون أداء مهامها بشكل فاعل، ما يؤدِّي إلى شلل شبه كامل على صعيد اتخاذ القرار، إضافة لانهيار المالي الذي فقدت فيه العملة

لا يختلف مشهد الحرب الدائرة في جنوب لبنان اليوم عن أحداث ٢٠١١، لحظة اندلاع الثورة السورية، وإدخال «حزب الله»، لبنان هاتين الحريين ولو اختلفت المشهدية عن سابقتها، إلا أن الأدوات ذاتها: الأيدولوجية الدينية والأهداف السياسية، إضافة إلى النتائج الكارثية على لبنان، مع اختلاف الظروف والمشهد الحالي وتشابه الجغرافية.

الثورة السورية ٢٠١١... والدفاع المقدس

عقب حرب تموز ٢٠٠٦ شهدت منطقة البقاع هدوءاً نسبياً من أي حوادث أمنية، مع وضع اقتصادي قد يُقال عنه شبه مقبول؛ وصولاً إلى أحداث الثورة السورية، عام ٢٠١١، التي سرعان ما عكست الوضع المستقر مخلِّفة نتائج سلبية كثيرة على المنطقة، من موجة لجوء واستغلال تلك القضية لصالح «حزب الله»، إضافة إلى التفكُّت الأمني على الحدود السورية اللبنانية، وسوء الأحوال المعيشية.

صمَّت «حزب الله» خلال ترتيب المصالح مع النظام السوري واتخاذ القرار بدخول الحرب السورية أو النأي بالنفس، أدَّى إلى ظهور الميليشيات المسلحة على المناطق الحدودية مع سوريا، والتي تسيطر اليوم على المشهد الحالي في قرى بعلبك، حيث دارت أولى الاشتباكات في بعض الأجزاء من الحدود السورية اللبنانية في تشرين الأول ٢٠١١. ويذكر «مركز كارنيغي للأبحاث» أن أولى إرهابات التدخل الكبير في سوريا تمثَّل بمطاردة النظام السوري للجماعات المتمرِّدة عبر الحدود أو بقصف القرى التي قدَّمت الدعم لمقاتلي المعارضة السورية.

كانت المناطق البقاعية عملياً قد أقيمت في الحرب السورية بهدف حماية النظام السوري وسعى «حزب الله» في الأشهر الأولى للحرب، إلى التقليل من شأن ارتباطه الفعلي بما يجري في سوريا في سبيل البقاء بعيداً عن الأضواء والإبقاء على الهدوء الداخلي في لبنان.

وعندما بدأت التقارير تتزايد عن تورُّط «حزب الله» في القتال في سوريا في تشرين الأول ٢٠١٢، كان تبرير مسؤولي «حزب الله» ومنهم أمينه العام بأن القرى الحدودية تعرضت إلى هجوم من جانب الجيش السوري الحر، وإن بعض سكان هذه القرى هم أساساً أعضاء في «حزب الله» وكانوا يدافعون عن بلداتهم وعائلاتهم.

هذا التبرير سرعان ما تحوَّل إلى إعلان مباشر من قبل أمين عام الحزب حسن نصر الله في الخامس والعشرين من أيار ٢٠١٣، عن الانخراط التام في الحرب السورية معلناً استعداداته للذهاب شخصياً للقتال في سوريا لمواجهة «الإرهابيين» وحماية مقامات «أهل البيت» في سوريا تحت راية «الدفاع المقدس».

كانت أولى المعارك، «معركة القصير» بريف حمص القريبة على الحدود مع بعلبك الهرمل، بعدما سيطرت الفصائل المسلحة على مناطق واسعة من سوريا، حيث بلغ عدد المفقودين من قادة «حزب الله» حوالي ٧٧ قائداً من أصل ١,٢٣٣ عنصراً مفقودين في سوريا، بحسب آخر احصائية للعام ٢٠١٨ نشرها «معهد دول الخليج العربية في واشنطن».

هذا الدخول العلني إلى دولة أخرى أدَّى إلى نتائج كثيرة اليوم من تفلَّت عصابات التهريب على الحدود السورية اللبنانية مع منطقة القصير السورية، حيث باتت تنشط هذه العصابات بتهريب المواد الغذائية والبنزين والمخدرات، ما أدَّى على مدى أكثر من ١٠ سنوات إلى فتح اقتصاد أسود مع سوريا المعزولة حالياً بسبب العقوبات الأميركية، وانعكاس هذه الأزمة الاقتصادية على لبنان وخصوصاً منطقة البقاع، مع الانهيار الحالي الحاصل.

«ثورة ١٧ تشرين» ورفض البقاعيين التهميش



«ساحة خليل مطران»، المصدر: موقع القوات اللبنانية

منذ انتهاء حرب تموز بقيت محافظة البقاع هادئة لمدة ١٨ عاماً، لكنها تأثرت بمحطات عدة بداية من ثورة ١٧ تشرين عام ٢٠١٩، والتي كانت أداة قمعها في منطقة البقاع بيد الثنائي الشيعي المسيطر على المنطقة. كان رفض البقاعيين لأحوال البلاد القائمة يخرج في أكثر من مناسبة، مثل مشاركتهم الفاعلة في الاحتجاجات التي بدأت في ١٧ تشرين واستمرت أشهراً، حيث كانوا يطالبون بقضاء مستقل و بإنصاف المنطقة المهمشة ومحاسبة الفاسدين في الدولة الذين أوصلوا البلاد إلى حافة الإفلاس، وصولاً إلى تحقيق المطالب المعيشية من كهرباء وماء وطبابة وتعليم، وضبط الأمن. قام الثنائي الشيعي بقمع أصواتهم وهاجم ساحات اعتصامهم منذ الأيام الأولى للتحركات وتكسير خيم الاعتصام وإيقاع الجرحى بين المعتصمين، وصولاً إلى إطلاق النار عليهم، كمثال ما حدث في «ساحة خليل مطران» في ٢٦ تشرين الثاني من عام ٢٠١٩.

توالت أزمات البلاد من انهيار الاقتصادي إلى انفجار مرفأ بيروت

هل لا يزال ممكناً أن يخرج من الطائفة الشيعية مشروعٌ سياسيٌّ معارضٌ للثنائي؟

علي خليفة*



المشروع السياسي المعارض للثنائي الشيعي: هل يثبت وجوده؟

هل هناك مسألة شيعية على وجه التحديد أم تحولات لصيغة طائفية على وجه الإجمال؟

البعد الوطني أم البعد الطائفي للمشروع المعارض للثنائي الشيعي؟

ويمزج بين البُعدين الوطني والطائفي من خلال استراتيجيته السياسية والعسكرية ويستمر في تعزيز هويته الشيعية من خلال خطابه الديني على الرغم من بروز انتقادات من أفراد من الطائفة الشيعية لا يدنون بولاية الفقيه وبعض الأطراف اللبنانية التي ترى في فكر «حزب الله» وسلوكه تهديداً للوحدة الوطنية. وفي حرب تموز (يوليو) ٢٠٠٦، تعرض الحزب لانتقادات داخلية وأثار توترات طائفية وسياسية. وفي الأزمة السورية، تدخل «حزب الله» لدعم نظام بشار الأسد بما عمق الانقسام الطائفي داخل لبنان^(١).

مواجهة كل ما سبق تقتضي مواجهة الأدبيات والأدوات التي توسمتها الهوية السياسية للشيعية في لبنان والقوى الإقليمية في تشكيل سياساتها. وبوجه أدبيات «حزب الله» وأدواته، لا بد أن يخرج من الفقه الشيعي والثقافة الشيعية ما يدعو إلى تعزيز دور الدولة اللبنانية وسيادتها على كامل أراضيها، والتأكيد على ضرورة أن يكون قرار الحرب والسلام بيد الدولة فقط ومعارضة أي تدخلات خارجية في الشؤون اللبنانية، سواء من إيران أو غيرها، وضرورة الحفاظ على الاستقلال الوطني والتفكير في مستقبل النظام السياسي اللبناني لتحقيق تمثيل عادل لجميع الطوائف، والتخلص من المحاصصة الطائفية التي تعيق تقدم البلاد والتركيز على قضايا التنمية الاقتصادية والعدالة الاجتماعية.

في هذا السياق تبرز مساهمات ومحطات مفصلية لكل من العلامة السيد علي الأمين الذي ينتقد علانية سياسات «حزب الله» وتدخلاته الإقليمية ويدعو إلى بناء دولة قوية ومستقلة في لبنان تعتمد على سيادة القانون^(٢)، ولقمان سليم الذي كان ينتقد هيمنة «حزب الله» على الطائفة الشيعية وممارساته التي يعتبرها تقويضاً لسيادة الدولة اللبنانية. سليم اغتيل في عام ٢٠٢١، في حادثة أثارت الكثير من الجدل حول دور الحزب في تصفية معارضيه.

ينبغي استكمال هذا الخط وإغناء أدبياته وتنويع أدواته للمواجهة من تنظيم فعاليات مؤتمرات وندوات تهدف إلى نشر الوعي حول ضرورة تغيير النهج السياسي للطائفة الشيعية وإصدار بيانات صحفية ومقالات تنتقد السياسات الحالية وتدعو إلى التغيير المنشود والعمل على تشكيل تحالفات سياسية مع قوى لبنانية أخرى تسعى إلى تعزيز السيادة والإصلاح السياسي.

الخلاصة

العمل السياسي في البيئة الشيعية يتميّز بتداخل جدي بين البُعد الوطني والبُعد الطائفي. هذا التداخل يعكس تعقيدات الهوية السياسية للشيعية، حيث تتشابك المصالح الوطنية مع الانتماءات الطائفية بطرق تساهم في تشكيل المشهد السياسي بشكل مستمر. من هنا، لا قيام لأي مشروع سياسي معارض للثنائي الشيعي إلا مع ضرورة العمل على مستويين: العام الوطني والخاص الموضوعي لمواجهة وتخطي ما يمكن اصطلاحه تحت عنوان «المسألة الشيعية» (المحنة الشيعية أو التكبّة الشيعية).

في العدد المقبل من فان رقم ٤:

الحلقة ٢/٣: هل هناك «مسألة شيعية»؟ تأملات في لاوعي الهزيمة والإنكار واختبار الشقاء التلقائي في مجتمع بلا دولة.

والحلقة الأخيرة: الاعتراض الشيعي: تاريخٌ يكرّر وجوهه أم مشروع يثبت وجوده؟

* أستاذ التربية على المواطنة في الجامعة اللبنانية ومؤسس في حركة «تحرّر»

هو نفسه يُستعاد (بشكل براغماتي) من باب ضمان التنوع الطائفي (من الشيعة وغيرهم) داخل اللقاء. أي، أنه من أجل تحاشي اقتضار تصنيف المنضوين في اللقاء على الشيعة، يجري تصنيف الجميع من منطلق الانتماء الطائفي نفسه بما يسمح بالتأكد من توافر كافة الانتماءات. فيصبح المعيار الطائفي، هو هو لتثبيت الصفة الطائفية للقاء أو للخروج منها، بالاحتكام إلى نفس التصنيف، على قاعدة ثنائية الحدّ يمكن تبسيطها كالتالي: شيعي أو غير شيعي. هذا هو التناقض الأساسي الذي يحكم مجمل القوى اليسارية في المعارضة أو المحسوبين عليها من وجوه الاعتراض الشيعي. وللمفارقة، قد يلتقي معها بعض الأفراد من دائرة نفوذ «حزب الله» أو اللقاءات التي استمرت تعمل على ريميم لقاء البريستول وتجمع ١٤ آذار.

الطائفة كواقع حال اجتماعي لا ينبغي إنكاره

عبر طروحات رفض الطائفية السياسية

إن رفض الطائفية في العمل السياسي هو مبدأ حق في الأدبيات السياسية القائمة على ركيزة الدولة والمواطنة والقاعدة الحقوقية، ولكن رفض الطائفية لا يعني (ولا يضمن) إلغاءها كعامل اجتماعي وتأثيراته على الحياة السياسية وأطرها القائمة وألياتها المعتمدة. إن المجموعات اليسارية تقع في تناقض مزدوج في تعاملها مع مشروع الاعتراض الشيعي: بإنكارها الأثر الطائفية كعامل اجتماعي، ليست تتعاضد عن واقع الحال القائم فحسب بل تستمد منه نفس الأدوات الطائفية لرفضه. ويقتصر هذا التناقض الصارخ على الرفض الذي قال فيه المفكر السياسي اللبناني أنطوان مسرة: «أنا أرفض الطائفية، أنت ترفض الطائفية، نحن نرفض الطائفية... تصريف شكلي لأفعال دون فعل اجتماعي وتفرغ للمحتوى السياسي من قضايا واستبدال المشاكل الحقيقية بمشاكل أخرى مصطنعة»^(٣). إن رفض مواجهة «حزب الله» بمكوّن يخرج من الطائفة الشيعية ذاتها لا يمكن الدفاع عنه إذن من منطلق معارض للممارسة الطائفية، على نقيض ما يدعي المنادون بهذا الطرح.

معارضة الثنائي بأدبيات وأدوات شيعية

بالمقابل، تظف أسئلة واقعية، لا استنكارية، حول الحاجة للعمل من ضمن الطائفة الشيعية، على حال ناطقة بأدبيات الطائفة الشيعية، عاملة بأدواتها لمواجهة أدبيات «حزب الله» وأدواته. هنا، يظهر العمل السياسي في البيئة الشيعية في لبنان مثلاً بارزاً على تداخل البُعد الوطني والبُعد الطائفي، مع التوقف عند ثلاثة عوامل أساسية بنظرنا: التاريخ السياسي والاجتماعي للشيعية في لبنان، وتأثير القوى الإقليمية والدولية (الجيلية لـ «حركة أمل» أو لـ «حزب الله» أو لكليهما لاحقاً)، وتوظيف الهوية الشيعية في تشكيل الاستراتيجيات السياسية^(٤).

الهوية الدينية الشيعية في لبنان توسّمت السلطة السياسية كقوة تأثير. في الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي، شهدت الطائفة الشيعية حراكاً سياسياً بقيادة السيد موسى الصدر، الذي أسس «حركة أمل» وسعى إلى تحسين أوضاع الشيعة في لبنان عبر المطالبة بالعدالة الاجتماعية والاقتصادية، كمقدمات للمشروع السياسي. في الثمانينيات، ظهر «حزب الله» كحركة مقاومة إسلامية شيعية بدعم إيراني. وعلى الرغم من تقديم نفسه كمقاومة، إلا أن تبنيّه لأيدولوجية ولاية الفقيه جعل أدبياته السياسية تعتمد على البُعد الطائفي. «حزب الله» جزء من محور إقليمي يضمّ إيران وسوريا، يؤثر جدلاً حول ولاءاته الوطنية

يبدأ هذا العدد من «الفان رقم ٤» بنشر أولى حلقات ثلاث متتالية تتناول بعض الإشكاليات التأسيسية المطروحة للنقاش والتي تخرج إلى العلن على وجه الخصوص غداة قيام أي مشروع سياسي معارض للثنائي «أمل - حزب الله» من داخل الطائفة الشيعية. هذه الموضوعات المتصلة، الملحة، الشائكة، تفرض نفسها على بساط البحث ويأخذها بالمقابل بعض المتربّصين والمشكّكين والمناوئين إلى الفضاءات العمومية بغرض المساجلة والمحاكمة وتشيت الانتباه عن القضية الأساسية المتمثلة بإطباق الثنائي «أمل - حزب الله» على العمل السياسي داخل الطائفة الشيعية واختزالها واستبدال ولاءها وتغييب ثقافتها وأخذ الحالة الطائفية لدى الجماعة الشيعية في لبنان إلى صورتها القسوى مع احتكار وكالة النطق الحصرية بالقضايا الوطنية كالمقاومة والتحرير والاستيلاء على الأدوار الوظيفية للدولة في الدفاع والأمن والاقتصاد والمجتمع.

يمكن لهذه الموضوعات المطروحة للمعالجة أن تنتظم تحت ثلاثة عناوين نفهم من خلالها متطلبات المشروع السياسي المعارض للثنائي: هل يقَدّم البُعد الوطني أم البُعد الطائفي؟ وهل الحال القائمة في الجماعة الشيعية يمكن اصطلاحها تحت مسمّى «المسألة الشيعية» على وجه التحديد أم أن ما تعاني منه الجماعة الشيعية تعاني منه أيضاً باقي الجماعات الطائفية على وجه الإجمال؟ وصولاً إلى المشروع السياسي المعارض للثنائي؛ هل هو تاريخ يكرّر وجوهه أم مشروع يثبت وجوده؟

الحلقة ١/٣:

العمل السياسي في البيئة الشيعية: جدلية البُعد الوطني والبُعد الطائفي

العمل السياسي في البيئة الشيعية يشكل قضية معقّدة تتمحور حول جدلية البُعد الوطني والبُعد الطائفي. هذه الجدلية تبرز بشكل خاص في المجتمعات ذات الأغلبية الشيعية أو التي تضم أقبليات شيعية كبيرة، حيث تتداخل المصالح الوطنية مع الانتماءات الطائفية، مما يخلق ديناميات سياسية واجتماعية ذات إشكاليات عديدة. لفهم هذه الجدلية، يجب النظر في السياقات التاريخية والسياسية المختلفة التي أثرت في تطور الحركات السياسية الشيعية، ولكل منها خصوصيته.

في الكثير من الدول ذات الأغلبية الشيعية أو التي تضم أقبليات شيعية كبيرة، مثل العراق ولبنان وإيران والبحرين، لعب الشيعة أدواراً بارزة في الحركات الوطنية والتحريرية. في العراق، على سبيل المثال، بعد سقوط نظام صدام حسين، شهدت البلاد صعوداً قوياً للأحزاب الشيعية التي سعت إلى إعادة تشكيل النظام السياسي بما يتناسب مع الأغلبية الشيعية في البلاد. هذا التحول أوجد توترات طائفية بين الشيعة والسنة، خاصة مع تصاعد نفوذ بعض الميليشيات الشيعية المدعومة من إيران^(١)؛ في إيران، على الرغم من أن النظام الذي أسس بعد الثورة كان ذا طابع ديني شيعي، إلا أن البُعد الوطني المتمثل بالفارسية يطغى على البُعد المذهبي ويسخر هذا الأخير له؛ في البحرين، يبحث الشيعة عن تمثيل سياسي يعكس هويتهم الدينية والاجتماعية ويطلبون بحقوق سياسية ومدنية متساوية، وتستخدم الهوية الشيعية كوسيلة لتحقيق هذا الهدف^(٢).

في لبنان، لا يمكن إغفال البُعد الطائفي الذي يلعب دوراً بارزاً في تشكيل الهوية الوطنية، حيث إن ثقافة الميثاق القائمة في المجتمع والوفاق الوطني في ما بعد ناجمان عن عقد اجتماعي يقوم على ائتلاف الطوائف. وصولاً إلى العديد من الحالات القائمة اليوم في البيئة الشيعية تحديداً، حيث يتم تعبئة الدعم السياسي والطائفي من خلال الهوية الشيعية، ويعتمد «حزب الله» الله بشكل كبير على الدعم الإيراني والهوية الشيعية لتعبئة مؤيديه وضمان استمراريته^(٣).

في هذا المقال، السيات محدّدة بالحالة اللبنانية في مرحلة ما بعد تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١٩ مع الأسئلة التي أفرزتها والمواكبة لانطلاق حركات الاعتراض سيما في البيئة الشيعية.

تصنيفٌ طائفي... لرفض البُعد الطائفي؟

ثمة سؤال استنكاري تجاه أي عمل سياسي ينبثق من البيئة الشيعية بوجه الثنائي «أمل - حزب الله»: البُعد الوطني أم البُعد الطائفي: أيهما المطلوب والأفضل والأبدي؟ ألا يكفينا حالات طائفية في مجتمع تخشّرت فيه الممارسات الطائفية إلى أبعد حدّ؟ ويتابع البعض كما انتشر، في الآونة الأخيرة، في الإعلام المرئي والمكتوب، قائلًا: ... بل نحتاج لحالة «وطنية» مناهضة للثنائي «الطائفي». في أحد الاجتماعات الذي سبق إطلاق أحد المنتديات التشاورية من البيئات اليسارية، اعترض الحاضرون بوجودنا على خروج حالة طائفية شيعية مناهضة لـ «حزب الله». ينبغي التوقف عند هذا الموقف لتفسيره من خلال المبرر المعلن المتمحور حول التحفّظ على الصيغة الطائفية للحالة المناهضة لـ «حزب الله». والبديل؟ طرح الحاضرون تشكّل لقاء معارض يجمع أفراداً من مختلف الطوائف من السنة والمسيحيين بالإضافة إلى الشيعة. المفارقة أن التصنيف المبني على الانتماء الطائفي الذي يتمّ رفضه (بشكل مبدئي)

(١) بطاطو، حنا. العراق الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية. (ترجمة عفيف الرزاز) دار البيروني للنشر والتوزيع، ٢٠١٥.

(٢) نصر، ولي. صحوة الشيعة. الصراعات داخل الإسلام وكيف سترسم مستقبل الشرق الأوسط. دار الكتاب العربي، ٢٠٠٧.

(٣) شرارة، وضاح. دولة حزب الله لبنان مجتمعاً إسلامياً. دار النهار، ٢٠٠٦.

(٤) مسرة، أنطوان. النظرية العامة في النظام الدستوري اللبناني: أبحاث مقارنة في أنظمة المشاركة، المكتبة الشرقية، ٢٠٠٥، ص. ٢١٩.

(٥) لويس، برنارد. الإيمان والقوة. الدين والسياسة في الشرق الأوسط. دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، ٢٠١٧.

(٦) نورتن، وأغسطس ريتشارد. حزب الله عبر ضباب الحرب. مقابلة منشورة في مجلة الدراسات الفلسطينية. عدد الخريف، ٢٠٠٦.

(٧) الأمين، علي. ولاية الدولة ودولة الفقيه.

ورشة عمل لـ «أمم للأبحاث والتوثيق» و«حركة تحرر» بعنوان «المجتمع اللبناني التعددي وتحديات الأنظمة الموازية في الإعلام والاقتصاد والتربية»



إعداد أساسي للمعلمين الملتحقين للعمل في هذه المؤسسات بما يخالف القيم المتضمنة في برامج الإعداد والمناهج الرسمية اللبنانية فضلاً عن ضعف الانتماء للهوية الوطنية اللبنانية ومكونات الثقافة الوطنية بما يعزز نشوء نظام رديف في التربية والتعليم تمهيداً لمجتمع شيعي منعزل عن المجتمع اللبناني المتعدّد.

ولفتت د. نسرين شاهين إلى أن حرية التعليم في مكان وعمل المدارس الخاصة اليوم أصبح في مكان آخر. وفي حين أن التعليم هو الركيزة الأساسية للاندماج الاجتماعي، إلا أن الطوائف قدّمت مصالحها على الإلزامات الاندماج الاجتماعي مستغلة غياب الفلسفة التربوية وسياسة الدولة في هذا المجال وانقراض المكاتب الحزبية على الروابط التي اغتالت العمل النقابي والتربوي.

في ختام الجلسة، كان لا بد من التنويه إلى ضرورة استكمال النقاش لبلورة آليات للعمل وصولاً إلى التغيير المنشود ورفع التحديات التي تواجه المجتمع اللبناني وتعزيز التنوع كمصدر للغنى في إطار الوحدة والعيش معاً.

وخلال النقاشات التي أعقبت الجلسة، أشار الصحافي علي الأمين إلى أن الصورة الظاهرة لإعلام «حزب الله» لا تعكس واقع الحال حيث إن قدرات «حزب الله» ما هي إلا تجسيد لتسلل النفوذ الإيراني بشكل مباشر في مجتمعنا.

وركزت مداخلة لمحمود فقيه عضو «تحالف وطني» على دور الإعلام في تشكيل الرأي العام والتحديات التي تواجه المبادرات الإعلامية المستقلة.

في الجلسة الثانية بعنوان «الاقتصاد بين حرية المبادرة والعقوبات»، بإدارة الناشطة الحقوقية والنسوية في «حركة تحرر» ريم فارس، قدّم الباحث والأساتذ في الجامعة اللبنانية والمؤسس في حركة تحرر د. علي خليفة أهم ما جاء في بحثه بعنوان: «الشيعية في الاقتصاد: كيان مواز يجذب العقوبات»، منتقداً مساهمات المؤسسات الحزبية التابعة لـ «حزب الله» لأنها بمثابة حلقة تبادلية مغلقة غير منخرطة في الاقتصاد الوطني وخارجة عن النشاطات الاقتصادية في نطاق شرعية الدولة.

ولاحظ د. خليفة أن النشاط الاقتصادي للشيعية، خاصة في الجنوب، كان ليزدهر أكثر في ظلّ خيارات سياسية مختلفة، مستعيداً حقب كانت فيها بنت جليل حاضرة التبادلات الاقتصادية ومساهمة بشكل دالّ في الناتج المحلي.

وقدّم العضو المؤسس في «تحرر» الأستاذ علي الزين محاضرة حول الأزمة الاقتصادية الراهنة في ظلّ الانسداد السياسي وتمتدّد الاقتصاد الموازي عبر التهريب وتبييض الأموال واستدراج العقوبات، معتبراً أن خيارات التنمية تتطابق حكماً مع استعادة أدوار الدولة كاملة دون تجزئة.

وبعد الغداء، انتهت أعمال الورشة بجلسة ثالثة أدارها د. علي خليفة تحت عنوان «التعليم الحر في لبنان: في نشوء الأنظمة الموازية ومآلاتها»، تحدث فيها كل من الرئيس الأسبق للمركز التربوي للبحوث والإنماء د. نمر فريحة والناشطة النقابية والباحثة التربوية د. نسرين شاهين.

اعتبر د. نمر فريحة أن التعليم في لبنان فشل في التربية على المواطنة، وأن التربية هي من ضمن الأدوار الاجتماعية للدولة وأن المادة العاشرة من الدستور تمّ استغلالها من الطوائف الدينية، لافتاً إلى عدم الحاجة إلى الإبقاء على هذه المادة بعد قراءة تاريخية لأسباب وجودها.

وكان بحث د. علي خليفة عن «الشيعية والتعليم في لبنان»، أظهر خروجاً عمّا يمكن اعتباره ضمن حدود حرية التعليم في مدارس الجمعيات التي أنشأها «حزب الله» تحديداً، حيث يتمّ إدراج

ضمن سلسلة ورش تحت عنوان «مساحة حرة للخيارات الوطنية لشيعية لبنان»، واستكمالاً لمشروعها البحثي «تواريخ متقاطعة، حصة الشيعة منها في لبنان» الذي أنتج ١٣ عنواناً تعرض سردية «شيعية لبنان» في مختلف ميادين الحياة، أقامت «أمم للتوثيق والأبحاث» بالتعاون مع مجموعة «تحرر لأجل لبنان» في أوتيل «سمول فيل» في بدارو ورشة عمل بعنوان «المجتمع اللبناني التعددي وتحديات الأنظمة الموازية في الإعلام والاقتصاد والتربية» حضرها حوالي ٤٠ شخصية وناشطة وناشط سياسي وإعلامي وتربوي واقتصادي.

تميّزت الورشة بحضور لافت سياسي واجتماعي وأكاديمي وتنظيم ناجح بين الناشطات والناشطين في حركة تحرر والعملين في «أمم للأبحاث والتوثيق».

قدّمت أعمال الورشة الناشطة في «حركة تحرر» رنا النبهان، ثم ألقى العضو المؤسس في «حركة تحرر» د. هادي مراد كلمة الافتتاح التي قال فيها إن أحد المبادئ العشرة المعلنة لـ «حركة تحرر» هو التنوع ضمن الوحدة الوطنية، التنوع كمصدر غنى في ظلّ الحريات التي يكفلها الدستور، حيث تنظر «حركة تحرر» الى الطوائف الدينية في لبنان كمصدر غنى للتنوع. لكن كما الحرية يضبطها القانون، كذلك التنوع يأتي من ضمن الوحدة، أي أننا نقف بشدة بوجه تمديد الأنظمة الريفية في الأمن والدفاع والتربية والتعليم والاقتصاد والمال والصحة والاستشفاء والقضاء... مؤكداً على أهمية فتح النقاش اليوم حول التحديات التي يواجهها المجتمع اللبناني في ظلّ الأنظمة الموازية في الإعلام والاقتصاد والتربية. وتزامناً مع ذكرى ٢٥ أيار، اعتبر د. مراد أن المقاومة فعلٌ مدني وشمولي يستفيد منه الجميع، كما كان يصفها سماحة الإمام محمد مهدي شمس الدين، رافضاً اختزالها في بُعدها العسكري أو في مضمونها الشيعي.

ثم ابتدأت أعمال الجلسة الأولى تحت عنوان «الإعلام مبادرات وسلاح»، بإدارة الإعلامي والناشط السياسي جاد يتيتم، وقدّم الناشط السياسي والباحث في «أمم للأبحاث والتوثيق» عباس هدا قراءة لأهم محطات البحث التوثيقي حول الاعلام عند شيعة لبنان الذي أنجزه في إطار مشروع «تواريخ متقاطعة: حصة الشيعة منها» حيث يتبين تحوّل دور الإعلام من توثيق الخبر ونشره إلى جهاز إيديولوجي لتوجيه الرأي العام والتعمية على الحقائق والتضييق على الحريات وتشويه صورة الآخر المختلف وشيئته.

ثم قدّم الباحث والأساتذ في الجامعة اليسوعية د. نصري مسرة محاضرة حول نشوء الجيوش الإلكترونية وأساليب عملها وتأثيرها ودورها في قلب الحقائق والتهريب وصولاً إلى تأليب الرأي العام وخلق بيئات مؤاتية للغلو والتطرف.

١٧٠١ بكافة مندرجاته من دون استنسابية، وتحمل مسؤولية الناس والعباد من دون أي تخاذل.

على السلطة حماية الحدود اللبنانية وحفظ الأراضي الجنوبية وأهاليها من أي عدوان أو مغامرات عسكرية وتطبيق القرارات الدولية ولا سيما القرار ١٧٠١

كما استهجن الائتلاف الخفّة التي تتعامل بها السلطة اللبنانية في قضية انتخاب رئيس الجمهورية، واستهتار النواب في القيام بواجبهم الدستوري في تأمين انتظام الحياة السياسية اللبنانية، وهو أمر يرقى خلقياً الى مصاف الخيانة، من خلال خيانة الأصوات التي صوتت لهؤلاء النواب للحفاظ على مصلحة الناخبين، فضربوا هذه المصلحة دون أن يرقّ لهم جفن. لذلك يدعو الائتلاف كل النواب الذين يدعون حرصهم على لبنان واللبنانيين الاعتكاف والاضراب في مجلس النواب حتى يتمّ انتخاب رئيس للجمهورية، والبحث عن كل السبل القانونية والدستورية التي تسمح بمساءلة المعطلين، ودعوة المواطنين اللبنانيين الى المشاركة في هذا الاعتكاف للضغط في سبيل انتخاب رئيس جمهورية وانتظام الحياة السياسية.

على النواب الذين يدعون حرصهم على لبنان واللبنانيين الاعتكاف والاضراب في مجلس النواب حتى يتم انتخاب رئيس للجمهورية

إن ما وصل إليه لبنان من وضع اقتصادي مذر، يضع اللبنانيين أمام مسؤولياتهم لمواجهة المؤامرة التي تحيّلها السلطة التي تسيطر على الواقع النقدي في لبنان، من كون معظم من في هذه السلطة هم شركاء أم أصحاب للمصارف بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وبالتالي فإنهم يلهون الناس ببعض التعيينات كإبر المورفين، فيما هم يعملون سرراً وعلانية على تحميل المواطنين الخسائر، وتطبير أي حل يضمن حق اللبنانيين والمودعين. وبالتالي يجب على اللبنانيين وضع

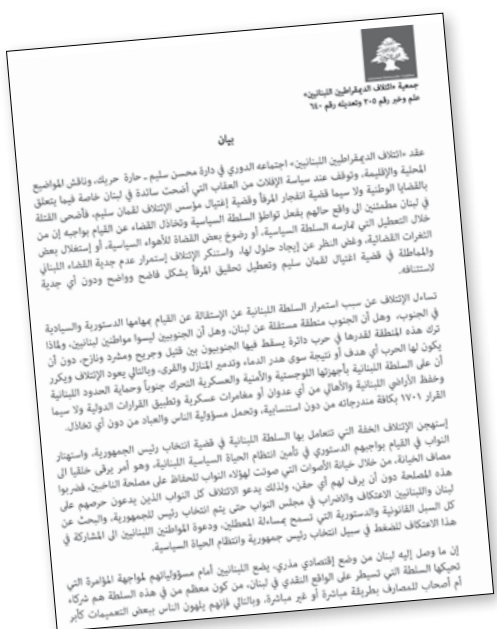
ائتلاف الديمقراطيين اللبنانيين

بيان

عقد «ائتلاف الديمقراطيين اللبنانيين» اجتماعه الدوري في داره محسن سليم - حارة حريك، وناقش المواضيع المحلية والإقليمية، وتوقف عند سياسة الإفلات من العقاب التي أضحت سائدة في لبنان خاصة في ما يتعلق بالقضايا الوطنية ولا سيما قضية انفجار المرفأ وقضية اغتيال مؤسس الائتلاف لقمان سليم، فأضحى القتلة في لبنان مطمئنين الى واقع حالهم بفعل تواطؤ السلطة السياسية وتخاذل القضاء عن القيام بواجبه إن من خلال التعطيل التي تمارسه السلطة السياسية، أو من خلال رضوخ بعض القضاة للأهواء السياسية، أو استغلال بعض الثغرات القضائية، وغضّ النظر عن إيجاد حلول لها، واستنكار الائتلاف استمرار عدم جدية القضاء اللبناني والمماثلة في قضية اغتيال لقمان سليم وتعطيل تحقيق المرفأ بشكل فاضح وواضح ودون أي جدية لاستئنافه.

القتلة في لبنان مطمئنين الى واقع حالهم بفعل تواطؤ السلطة السياسية وتخاذل القضاء عن القيام بواجبه

تساءل الائتلاف عن سبب استمرار السلطة اللبنانية عن الاستقالة عن القيام بمهامها الدستورية والسيادية في الجنوب، وهل أن الجنوب منطقة مستقلة عن لبنان، وهل أن الجنوبيين ليسوا مواطنين لبنانيين، ولماذا ترك هذه المنطقة لقدرها في حرب دائرة يسقط فيها الجنوبيون بين قتييل وجريح ومشرّد ونازح، دون أن يكون لهذه الحرب أي هدف أو نتيجة سوى هدر الدماء وتدمير المنازل والقرى، وبالتالي يعود الائتلاف ويكرر أن على السلطة اللبنانية بأجهزتها اللوجستية والأمنية والعسكرية التحرك جنوباً وحماية الحدود اللبنانية وحفظ الأراضي اللبنانية والأهالي من أي عدوان أو مغامرات عسكرية وتطبيق القرارات الدولية ولا سيما القرار



هذه السلطة تحت الضغط من خلال تفعيل التحركات المواجهة لها دون كلل أو ملل.

على اللبنانيين وضع هذه السلطة تحت الضغط من خلال تفعيل التحركات المواجهة لها دون كلل أو ملل

يستمر الائتلاف بدعوة جامعة الدول العربية وكل الدول العربية لتحمل مسؤولياتها وممارسة أقصى الضغوطات لحقن دماء الشعب الفلسطيني وإنهاء المأساة التي يعانيها أهل غزة في أخذهم كرهائن للتطرف والارهاب ولتنفيذ سياسات دول إقليمية، والضغط باتجاه إيجاد حلّ للوضع في غزة وفق القوانين الإنسانية الدولية، وتفعيل العمل السياسي لنصرة القضية الفلسطينية والعمل على الدفع بالمبادرة العربية التي أقرت في قمة بيروت عام ٢٠٠٢ وحق الشعب الفلسطيني في العيش بسلام.

«ائتلاف الديمقراطيين اللبنانيين»
علم وخبر رقم ٢٠٥ وتعديله رقم ٦٤٠

من كتاب «المرأة الشيعية في لبنان، خصوصية الهوية والكفاح المستمر»: مشاركة الشيعيات في الانتخابات النيابية



صحافية في جريدة «الأخبار» المقربة من «حزب الله». وبينما يتحدث رئيس «حركة أمل» رئيس مجلس النواب نبيه بري، عن مشاركة النسوة، فإن الأمر مختلف عند الممارسة، والدليل ما قام به ممثلو حركته عندما طرحتم زملتهم عنابة عز الدين الكوتا النسائية في البرلمان، إذ لم يُقيموا لها أي اعتبار فخرجت من الجلسة غاضبة، ما يعني أن موقف الثنائي الشيعي، «حزب الله» و«حركة أمل» موحّد حيال النساء.

ولفتت ليلي مروة، الرئيسة السابقة ل«التجمع النسائي الديمقراطي اللبناني»، إلى «التميز ظاهرياً فقط [...] فالحزب لا يقيم لهنّ أي اعتبار ولا يرغب في التحسين أو التطوير، سواء على مستوى القوانين أو غيرها». وهي رفضت ذرائع عدم تقبل المجتمع الشيعي ترشيح النساء، مشيرة إلى تقدّم القضايا النسوية خلال انتفاضة ١٧ تشرين ٢٠١٩، إذ «شاركت أعداد كبيرة من النساء الشيعيات، هذا الأمر جعلها تتوقع ترشح عدداً [كذا في الأصل] أكبر من النساء». ولكن الرقم تقلص عما كان عليه قبل أربع سنوات. فقد فاق عدد المقاعد المخصصة للشيعية نسبة المرشحات: ٢٠ امرأة شيعية فقط ترشحن في كل لبنان عن ٢٧ مقعداً. وانخفض العدد إلى ١٥ امرأة بعد تسجيل اللوائح، وكانت نسبة الشيعيات الأدنى بين اللبانيات.

على سبيل المثال، ورداً على ترشح الشابة سارة زعبيتر عن أحد المقاعد الشيعية في بعلبك - الهرمل، أشارت العشيبة في بيان إلى أنها «لا تمثل العائلة». وفي المقابل، وإذا أقرت الناشطة بعدم قدرتها على التغيير بمفردها، قالت إنها تستطيع إيصال صوتها و«كسر هذا النمط من التفكير الذكوري العشائري». وبرغم تطويقها، حصلت على ١٠٨٢ صوتاً تفضيلاً. وترشحت في الدائرة ذاتها امرأة أخرى هي شهرزاد حمية التي حازت تسعة أصوات تفضيلية. وتكرّر سيناريو الترويع في زحلة مع ديمة أبو ديا، وقد صدر موقفاً مُذيل باسم العائلة يتبرأ منها. ومع ذلك نالت ٢٢٥ صوتاً تفضيلاً.

كانت بينهنّ تسع شيعيات أي ما يُعادل ١٠ في المئة، إحداهن المستشارة السابقة في وزارة السياحة سلوى الخليل الأمين المذكورة سابقاً في هذا البحث والتي أكدت: «كلامه [نصرالله] لا يعنيني [...] إننا كنساء مسلمات، وتحديداً النساء الشيعيات موجودات بالمواقع الإدارية الرسمية [...] لماذا تُمنع المرأة الحزبية من الترشح للانتخابات النيابية؟ وكيف يُسمح لها بحمل بطاقة [عضوية] حزبية ولا يُسمح لها بالترشح؟».

أما أستاذة الحقوق بجامعة الحكمة والأميركية - اللبنانية ألفت السبع، فقالت: «استفزني وأزعجني كلام نصرالله كثيراً [...] ليس سهلاً عليّ كابتة برج البراجنة الترشح، وهذا تحدّ بالنسبة لي كمرأة مستقلة، وبمجتمع ذكوري وتقليدي، لم يعط المرأة كوتا نسائية».

وفي الانتخابات الأخيرة التي أُجريت في ١٥ أيار ٢٠٢٢، بقي الأمر على حاله بالنسبة إلى «حزب الله».

على الجانب الآخر، في حركة أمل، فإن قضية تمثيل المرأة في السياسة لم تُناقش بشكل صريح، وقليلة هنّ النساء اللواتي ترشحن للمناصب السياسية، ورغم أنّ البيان السياسي الرسمي للحركة ينظر إلى المساواة على المستويين الفردي والمجمعي، فإن قضية التمثيل السياسي للمرأة لا يتمّ التطرق إليها بشكل صريح. فلم تُرشح الحركة في تاريخها إلا امرأة واحدة للانتخابات البرلمانية خلال العشريين الماضيين، ولم تُسمّ غيرها للتوزير: هي عنابة عز الدين التي تولّت النيابة في دورتي عامي ٢٠١٨ و ٢٠٢٢. ووفق أرقام الاتحاد البرلماني الدولي، لبنان في المرتبة ١٨ بين الدول العربية لناحية وجود النساء في البرلمانات.

«هذا الواقع ليس مُستجداً. تاريخياً، قصّت طبيعة النظام الطائفي البرطيريكي على فرص المرأة في الحياة السياسية»، كما كتبت



المصدر: مونت كارلو الدولية

بالنظر إلى واقع المرأة الشيعية، يلاحظ أنها تعاني من غياب أو شبه غياب في المشاركة السياسية ومؤسساتها. يُعتبر ذلك واقعاً معقداً، ويمكن تفسيره وتوضيحه من خلال تجارب نساء مثل بشرى الخليل، التي تُعتبر أول امرأة شيعية ترشحت للانتخابات النيابية في عام ١٩٩٢ في دائرة الجنوب، لكنها لم تُفز.

عادت الكثرة أربع مرات بين عامي ١٩٩٢ و ٢٠٠٥، ثمّ عام ٢٠١٩ في الانتخابات الفرعية لملء المقعد النيابي الذي شغّر باستقالة نواف الموسوي، ثمّ في انتخابات ٢٠٢٢ عن دائرة الجنوب الثانية.

في «حزب الله»، بقي العمل البرلماني والترشح جكراً على الرجال. ومن المبررات التي قدّمها أمين عام «حزب الله» السيد حسن نصر الله قبيل انتخابات عام ٢٠١٨ النيابية أنه «بكل صراحة [...] ليست لدينا نساء يُقمن بهذه الوظيفة»، ... على اعتبار أنّ النائب لا يقوم بمهامّ تشريعية وإنما بمهام أخرى، مُسلماً بهذا الدور، كالتعزية وغيرها من المناسبات والتوظيفات الزبائنية [...] حتى إنه عبّر حينها عن موقفه الرفض الكوتا النسائية، واتهم من يطالب بها بمحاولة فرضها على الشعب اللبناني [...] و [بموضوع توزير النساء قال إن الأمر وارد في يوم من الأيام]. لا ندري متى؟ وكثرت ريماء فخري حينذاك موقف الأمين العام لحزبها، فقالت: «نحن نرى أنه من واجب المرأة المشاركة في الحياة السياسية وأن تكون موجودة في مراكز القرار، إلا أننا نتحفظ عن مشاركتها في الانتخابات النيابية لأن ذلك سيكون على حساب عائلتها».

وأعاد المشروع الانتخابي للحزب طرح نظرتهم إلى النساء، فوعّد النائب محمد رعد ب«إصدار التشريعات اللازمة لحماية حقوق المرأة ومشاركتها في العمل السياسي»، بصورة ناخبة ملتزمة بالتكليف الشرعي لا أكثر. ومن أصل ١١١ امرأة ترشحن عام ٢٠١٨،

من يوميات الإفلات من العقاب:

قضية عصام العبدالله وحكومة الدّمي المتحركة

وأشارت المفكرة إلى أن «الهاجس من احتمال استخدام المحكمة الدولية بفعل الضغط أو التهيب ضد قادة «حزب الله» أو مسؤولين في الدولة اللبنانية قد غلبت في ميزان الحكومة اللبنانية على أي أمل بقدرة هذه المحكمة على إنصاف الضحايا».

في الخلفيات والعادات والسياسات:

لا يوفر هذا الحكم الذي يديره تحالف السلاح والفساد والإفساد أي مناسبة دون أن يُبين فيها أنه فوق القانون، أي قانون محلي أو دولي. ليست قضية «انفجار المرفأ» وتعطيل العمل فيها، ومحاربة قاضيها بإعلان حروب أهلية صغيرة في وجهه، وقضية الاعتقالات والتنصيفات والحملات المقبته التي تليها، والخطف والتنصيف والتعمية والتمويه إلا أمثلة تضاف عليها

اليوم قضية عصام العبدالله، وسوف تتكدس فيها قضايا أخرى. فلا وقت للمحاسبة اليوم، إنما هو وقت الشعاع الأجوّف الواحد الأحد...

في تلك الفترة كانت المحكمة الجنائية الدولية قد أصدرت بياناً حثت فيه على إصدار مذكرات توقيف بحق رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتانياهو ووزير دفاعه يوآف غالانت إلى جانب قادة في «حركة حماس» بمن فيهم يحيى السنوار رئيس المكتب السياسي للحركة في غزة ومحمد دياب إبراهيم (الضيف) قائد كتائب القسام الجناح العسكري للحركة وإسماعيل هنية رئيس المكتب السياسي للحركة.

ثم قرر مجلس الوزراء اللبناني ذاته فجأة في ٢٨ أيار ٢٠٢٣ تعديل قراره «رقم ١ تاريخ ٢٦ نيسان ٢٠٢٤» المذكور أعلاه ليصبح على الشكل التالي: «أخذ المجلس علماً بالتقرير الذي أعدته المنظمة الهولندية للبحث العلمي التطبيقي TNO المتعلق بالتحقيق باستشهاد الصحافي المصور عصام العبدالله، وقرر المجلس الطلب إلى وزارة الخارجية والمغتربين ضمّ هذا التقرير إلى الشكاوى التي تقدّم بها لبنان بهذا الخصوص أمام الأمم المتحدة إضافة إلى تكليف الوزارة تقديم ما يُمكن من شكاوى أمام الهيئات والمنظمات الدولية: الجمعية العامة للأمم المتحدة، مجلس الأمن ومجلس حقوق الإنسان...»، وينتهي التعديل عند النقاط الثلاث المذكورة دون الإشارة إلى المحكمة الجنائية الدولية. الأمر الذي يعدّ تراجعاً عن السماح لهذه المحكمة بالنظر إلى هذه القضية.

وبما أن لبنان ليس من أعضاء المحكمة الجنائية الدولية، فيتعيّن عليه تقديم إقرار رسمي يمنحها السلطة القضائية لبدء تحقيقات في فترة زمنية معينة. لم يقدّم وزير الخارجية عبد الله بو حبيب بالإقرار المطلوب للمحكمة الجنائية الدولية. ولاحقاً قال مسؤول لبناني لوكالة «رويترز» طالباً عدم ذكر اسمه إن قرار الحكومة في البداية أحدث «لبساً» بشأن ما إذا كان الطلب المذكور في القرار «سيفتح الباب أمام المحكمة للتحقيق في كل ما تريد عبر ملفات مختلفة». وقد تحدثت التقارير أنّ من طلب سحب القرار هو وزير الشباب والرياضة جورج كلاس. وذكرت «المفكرة القانونية»، في أحد تقاريرها، أنّ «بعض القوى السياسية الوازنة في مجلس الوزراء وبشكل خاص «حزب الله» لم تكن راضية» تماماً عن قرار الحكومة الأول.



المصور الصحفي عصام عبد الله

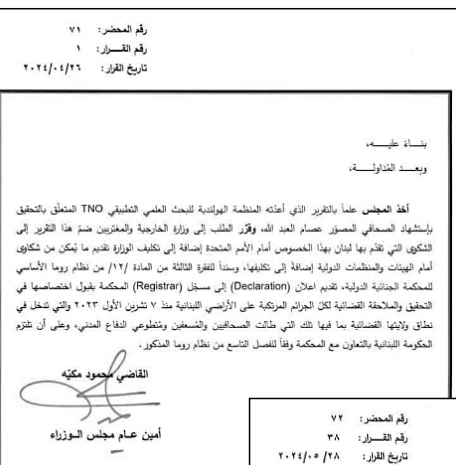
في الوقائع:

يوم ١٣ تشرين الأول من عام ٢٠٢٣ تم إطلاق قذفتين بينما كان الصحفيون يُغطون المعارك الدائرة بين إسرائيل و«حزب الله» عند

الحدود. ما أدى إلى مقتل مصوّر وكالة «رويترز» التلفزيوني عصام العبدالله، وإصابة مصوّر وكالة «فرانس برس» كريستينا عاصي بجروح خطيرة أدت إلى بتر ساقيها لاحقاً. أصدرت «رويترز» في البداية تقريراً لم يُشر إلى مصدر النيران الذي أصاب المصورين، الأمر الذي أثار موجة استهجان لبنانية شعبية بالدرجة الأولى حول رغبة الوكالة بتجهيل القاتل.

في ٧ كانون الأول ٢٠٢٣ خلص تحقيق أجرته «رويترز» إلى أن طاقم دبابية إسرائيلية هو المسؤول عن الحادث وذلك بعد أن «فحصت المنظمة الهولندية للبحث العلمي التطبيقي (TNO)، وهي مؤسسة بحثية مستقلة تختبر وتحلل الذخائر والأسلحة، تلك المواد لصالح «رويترز» في مختبراتها في لاهاي. وكانت النتائج الرئيسية التي توصلت إليها المنظمة الهولندية هي أن القطعة المعدنية الكبيرة كانت عبارة عن جزء من ذيل قذيفة دبابة عيار ١٢٠ ملمبترماً وأطلقها مدفع دبابة متمركزة على بعد ١,٣٤ كيلومتر من المراسلين عبر الحدود اللبنانية».

ثم يقول محضر مجلس الوزراء في ٢٦ نيسان ٢٠٢٤ أن المجلس قرر اعتماد التقرير الصادر عن «المنظمة الهولندية للبحث العلمي التطبيقي المتعلق بالتحقيق باستشهاد الصحافي عصام العبدالله»، كاستند رسمي تضمّه وزارة الخارجية إلى الشكاوى المقدمة أمام المنظمات الدولية، بالإضافة إلى التقدم بطلب إلى المحكمة الجنائية الدولية بقبول اختصاصها في التحقيق «والملاحقة القضائية لكل الجرائم المرتكبة على الأراضي اللبنانية منذ ٧ تشرين الأول ٢٠٢٣ والتي تدخل في نطاق ولايتها القضائية بما فيها تلك التي طالت الصحافيين والمسعفين ومتطوعي الدفاع المدني».



بعلبك الهرمل

ضرورة العمل السياسي والمدني للخروج من واقع قاتم

أحمد مطر



الطريق إلى بعلبك، المصدر: موقع الخنادق

هذه التحديات تتطلب جهوداً مشتركة ومستمرة من جميع الفاعلين في المنطقة لتحقيق التغيير والتطوير المنشود.

د - التغيير:

لقد آن الأوان للعمل على تحقيق تغيير حقيقي في المنطقة، وذلك من خلال:

تغيير سياسات واستراتيجيات العمل: يجب العمل على تبني سياسات جديدة تهدف إلى تحقيق المساواة والعدالة الاجتماعية، بدلاً من التركيز على تقديم الخدمات فقط دون تحقيق تغيير جذري.

منح مساحة أكبر للمواطنين في صنع القرار: يجب على القوى السياسية أن تضمن مشاركة واسعة النطاق للمواطنين في عملية صنع القرار، بحيث يشعرون بأن أصواتهم مسموعة ومؤثرة في شكل منطقتهم ومستقبلهم.

تغيير السلوك والوعي المجتمعي: ينبغي تعزيز وعي الجماعة بأهمية خلق بيئة إيجابية وتشجيع التفاعل المجتمعي المثمر، وهذا يتطلب تغييراً في السلوكيات الفردية والجماعية.

تغيير الخطاب: يجب تحويل الخطاب السياسي نحو تسليط الضوء على القضايا الجوهرية وتعزيز الوعي بأهمية حقوق الإنسان والمواطنة.

من الضروري أيضاً العمل على تعزيز الجوانب الإيجابية في المنطقة وتجاوز العقبات والتحديات من خلال تطوير الوعي الجماعي وتشجيع المشاركة المجتمعية. لكن ينبغي أيضاً ملاحظة أن هناك تحديات أساسية يجب التصدي لها، مثل ضعف الروح التطوعية وغياب التشبيك والتحالف، بالإضافة إلى تحسين الثقافة الديمقراطية وتعزيز دور الشباب في التخطيط واتخاذ القرارات. ما العمل؟

انطلاقاً مما سبق وتكلمنا عنه في البداية حول إن غياب الدور الفاعل للدولة في المنطقة سواء تعلق الأمر بالمشاريع التنموية أو تعزيز مؤسسات الخدمات العامة من صحة ومياه شفة ومؤسسات تعليمية، وتراجع دور الدولة في الإنماء والخدمات ساعد الأحزاب على الحلول مكانها وعلى حسابها، مما عزز دور المؤسسات الحزبية والطائفية وأصبحت الخدمات من حق الجمهور الموالي لهذا الطرف أو ذاك في لحظة سياسية حرجة يشهدها لبنان حيث تستخدم فيه المشاريع والطروحات التي تهدد وحدة اللبنانيين وعيشهم المشترك، كما تهدد مفهوم الدولة بصفها سلطة موحدة وقوة تحكيم وأداة تنفيذ شامل للقوانين والأنظمة بحيث يصبح تكتمل الطائفة كفيلاً بتعطيل القانون وحتى الدستور.

من هنا لا بد من التمسك بدور الدولة الراعية لمواطنيها وتكريس سلطة القانون ليس على قاعدة العصا والأمن بالتراضي بل من خلال التأكيد على ضرورة نشر ثقافة المواطنة بالإضافة الى تعميم ثقافة القِيم الديمقراطية وتكريس قواعد تكافؤ الفرص ومبدأ الحقوق والواجبات والإنماء المتوازن والعمل على تجاوز لا بل إلغاء الصورة النمطية المرسومة للمنطقة وكأنها منطقة خارجة عن القانون، إن هذه المنطقة التي كان لها دوراً بارزاً ماضياً وحاضراً في مواجهة كافة المشاريع التي كانت تستهدف لبنان، هذه المنطقة التي كان من أبنائها رئيسان للمجلس النيابي ونقيباً للصحافة اللبنانية يفترض أن لا يتم وصمها على أنها موئلاً للعصابات وتجار المخدرات.

هـ - كيف السبيل إلى العمل؟

لذلك المطلوب اليوم من مثقفي المنطقة وشبابها وشاباتنا أن يرتقوا الى مستوى المسؤولية الوطنية والعمل على تجاوز الأنايات والحسابات الضيقة والتصدي لواقعها على كافة المستويات الاجتماعية الاقتصادية الثقافية التربوية الصحية الزراعية من خلال التصدي لهذه القضايا، من خلال ورش عمل متخصصة وندوات حوار تهدف إلى تغيير واقع المنطقة على مختلف الصعد. وليكن خيارنا خياراً وطنياً نابعاً من قناعتنا بالكيان الوطني اللبناني.

في شكل عام، المطلوب تحقيق التغيير في المنطقة بجهود مشتركة من قِبل جميع أفراد المجتمع، بما في ذلك المثقفين والشباب والمنظمات غير الحكومية. ويجب التركيز على بناء مجتمع مدني قوي يعتمد على العدالة الاجتماعية والشفافية وتكافؤ الفرص. ويجب علينا أن نعمل معاً من أجل بناء مستقبل أفضل للجميع، والتغلب على التحديات التي تواجهنا بتضافر الجهود والتعاون. هذا يتطلب جهوداً مشتركة من جميع أفراد المجتمع لتحقيق التغيير المطلوب وبناء مستقبل أفضل للمنطقة.

إلى ذلك، تعاني المنطقة من الفوضى الأمنية وانتشار السلاح بين المواطنين وارتفاع معدلات الجريمة والسرقات. العصبية العشائرية والقبلية تسيطر على المنطقة منذ سنوات، وتفاقم النائية الحزبية المهيمنة منذ اتفاق الطائف من هذه التحديات، مما ينعكس سلباً على القوى السياسية والمدنية. يضاف إلى ذلك ضعف قوى التغيير المدني الديمقراطي أمام هيمنة القوى الدينية المحافظة.

إن غياب الدور الفاعل للدولة في المنطقة، سواء في المشاريع التنموية أو في تعزيز مؤسسات الخدمات العامة من صحة وتعليمية وتوفّر مياه الشرب، أسهم في تراجع دور الدولة في الإنماء والخدمات. هذا الوضع مهّد الطريق للمؤسسات الخاصة لتحل محل الدولة، مما عزز دور المؤسسات الحزبية والطائفية التي باتت تقدّم الخدمات بناءً على الولاءات السياسية. يأتي هذا في وقت يشهد فيه لبنان لحظة سياسية حرجة تتصاعد فيها المشاريع والطروحات التي تهدد وحدة اللبنانيين وعيشهم المشترك، وتهدّد مفهوم الدولة كسلطة موحدة وقوة تحكيم وأداة لتنفيذ القوانين، بحيث يصبح تكتمل الطائفة قادراً على تعطيل القانون وحتى الدستور.

لقد أكد الدستور اللبناني في مقدمته على التزام الدولة بتحسين الوضع الاجتماعي، وتأمين العدالة الاجتماعية والمساواة بين المواطنين، من خلال تأمين الإنماء الاجتماعي المتوازن لكافة المناطق. وتعهّدت الحكومات المتعاقبة بالسعي لضمان استفادة اللبنانيين جميعاً من منافع النمو الاقتصادي بشكل يؤمن مبدأ المساواة وتكافؤ الفرص بين مختلف شرائح المجتمع والمناطق اللبنانية، ويعني ذلك بشكل أساسي مكافحة الفقر وتقليص فجوة التفاوت الاقتصادي والاجتماعي بين اللبنانيين. كما تعهّدت الحكومات برسم سياسة اجتماعية تسهم في تأمين الاحتياجات الأساسية للمواطنين، وتحسين فاعلية وجودة الخدمات الاجتماعية التي تقدمها الدولة لتصل إلى أكبر عدد ممكن من الفئات الاجتماعية الأكثر عوزاً.

غير أن الواقع يشير إلى أن الأوضاع العامة في المنطقة ظلّت دون الطموحات الوطنية، وبقيت منطقة بعلبك الهرمل من أكثر المناطق تهميشاً في لبنان.

تشكل منطقة بعلبك الهرمل نموذجاً مصغراً عن لبنان بتنوّعاته الطائفية، حيث يتمتع سكانها بنفس العادات والتقاليد والقِيم على الرغم من التآزم السياسي والانقسامات. على الرغم من ذلك، يعاني السكان هناك من التآزم السياسي والاقتصادي، مع وجود قوى سياسية تهيمن على المنطقة وتعمل على تفاقم هذا الواقع. يتشارك الجميع في الحرمان المزمّن والمستمر منذ تأسيس لبنان الكبير عام ١٩٢٠ وحتى اليوم. بالإضافة إلى ذلك، يعاني سكان المنطقة من إجحام الرساميل وغياب الاستثمارات بسبب الأوضاع الأمنية وغياب سلطة القانون، مما يؤدي إلى ارتفاع معدلات الهجرة نحو بيروت بحثاً عن فرص العمل والاستقرار وهرباً من انعدام الاستقرار الأمني وتفشي حالة الفوضى وازدهار تجارة المخدرات والممنوعات على أنواعها في ظلّ هذا الواقع التمييزي الذي تعيشه المنطقة لجهة الحرمان من أسسط حقوق الإنسان، ما يجعل سكانها يعانون من شخّ الخدمات الأساسية وانعدام الفرص التعليمية والصحية.

ج - العوامل التي تخلق هذا الواقع:

تلعب القوى المهيمنة على الواقع السياسي والاجتماعي دوراً سلبياً في منطقة بعلبك والهرمل، حيث تتبنّى مقاربة تعتمد على الزبائنية من خلال تقديم الخدمات للأنصار والمحسوبين عليها. تلجأ الأحزاب المهيمنة إلى هذه المقاربة بهدف كسب المناصرين والبارزين إعلامياً، مما يعزّز موقعها وسط الجمهور. ومن المهم أن نلاحظ أن هذه القوى لم تكن تهدف في السابق إلى التغيير الفعلي، بل كانت تركز على تقديم الخدمات فقط.

ضعف الروح التطوعية والثقافة المدنية: يسود في المنطقة ثقافة تفضيل المصالح الشخصية والعائلية والحزبية على المصلحة العامة، مما يضعف من قدرة القوى المدنية على التأثير والتغيير.

ضعف الثقافة الديمقراطية: يلاحظ في المنطقة انعدام الثقافة الديمقراطية والمشاركة الشعبية في عمليات الاختيار وصنع القرارات، مما يؤثر سلباً على بنية الثقافة السياسية.

الواقع الاقتصادي السيئ: الظروف الاقتصادية الصعبة تجعل الأفراد يولون اهتمامهم لتأمين لقمة العيش، مما يجعلهم أقلّ عرضة للمشاركة السياسية والتفاعل مع القضايا العامة.

ضعف التشبيك والتحالف: غياب التعاون والتحالف بين القوى المدنية يقيد قدرتها على تحقيق تأثير فعال وتغيير إيجابي في المنطقة.

التسلط السياسي: بعض القوى تسعى إلى السيطرة على جميع جوانب الحياة في المنطقة، مما يقيد حرية التعبير ويقوّض مساعي التغيير والتحوّل الديمقراطي.

عدم الشفافية: عدم شفافية بعض الأفراد والجهات يؤثر سلباً على مشاركتهم في النشاطات والتعاون معهم، ما يعيق جهود الإصلاح والتغيير.

البنية الثقافية المجتمعية: توجد بنية ثقافية تعارض الأفكار الجديدة وتقف عائقاً أمام التغيير والتحوّل نحو مجتمع أكثر تقدماً وديمقراطية.

أ - بعلبك الهرمل، التاريخ:

تتمتع مدينة بعلبك في لبنان بتاريخ عريق وثقافة غنية تعكس التنوع الحضاري الذي شهدته عبر العصور، إذ تُعدّ واحدة من أقدم المدن المأهولة في العالم. تقع بعلبك في وسط وادي بعلبك الخصب شمال شرقي لبنان، وتُعد عاصمة محافظة بعلبك الهرمل.

تشتهر المدينة بآثارها الرومانية الرائعة ومعابدها التي أدرجت ضمن قائمة اليونسكو للتراث العالمي، كواحدة من أبرز المعالم الأثرية في المنطقة. تعود تسمية بعلبك إلى كلمتي "بعل" و"بك"، حيث يعني "بعل" إله السومريين والكنعانيين، و"بك" تعني مدينة، مما يجعل ترجمة اسمها "مدينة بعل".

في القرن الأول الميلادي، أصبحت بعلبك مستعمرة رومانية بأمر من يوليوس قيصر، وشهدت بناء أكبر الهياكل الرومانية مثل معبد باخوس. استمرت عمليات البناء لقرون، مما جعل بعلبك محطة تجارية هامة بفضل موقعها الاستراتيجي.

في بداية العصر الإسلامي تعرضت بعلبك لعدة محاولات فتح من الجيوش الإسلامية، وتم فتحها مرتين في سنة ١٥هـ الأولى قبل معركة اليرموك والثانية بعدها. خالد بن الوليد فتح المدينة سنة ١٢هـ وأبو عبيدة عامر بن الجراح قاد حملة أخرى نحو بعلبك. في العصور الأيوبية والمملوكية، تحولت بعلبك إلى قلعة محصنة، وما زالت آثارها الدفاعية موجودة حتى اليوم.

في عام ١٥١٦م، دخلت بعلبك تحت الحكم العثماني مع بقية بلاد الشام. كانت تحت حكم ولاة محليين، خاصة من عائلة حرفوش، حتى أنشأ الباب العالي إدارة منظمة فيها عام ١٨٥٠م. تعرضت بعلبك لكارثة السيل عام ١٣٧٢م، التي دمّرت أجزاء كبيرة منها. رغم ذلك، استمرت بعلبك في جذب الرخالة والأثريين، وكشفت الأجزاء الرئيسية للمعابد الرومانية خلال القرن العشرين. تُعد بعلبك منطلقاً للأساطير المتعلقة بطريقة بنائها، نظراً لضخامة الأحجار التي استخدمت في بناء هياكلها. يُعتقد أن بعلبك كانت أول مدينة بُنيت في الكون، حتى يُروى أنها سُيدت من قِبل الشيطان أشموذاي لقابيل بن آدم بعد قتله لأخيه.

تحظى المدينة بموقع استراتيجي مهم على الخريطة اللبنانية، إذ تقع في وسط وادي بعلبك الخصب في شمال شرق لبنان. تحمل بعلبك تاريخاً ممتداً لأكثر من خمسة آلاف سنة، وشهدت تلاقي حضارات عديدة عبر العصور، من الآشوريين واليونانيين، إلى العصور البيزنطية والرومانية، وصولاً إلى الحقبة الإسلامية والعربية بكل تنوعها.

أما بالنسبة إلى الهرمل فهي تعتبر مدينة ذات تاريخ عميق، حيث تعود أصول تسميتها إلى ثلاثة مفاهيم مختلفة. الأولى تعني "المسنة"، مشيرة إلى قدمها، الثانية تُفسّر الاسم على أنه "هرم الإله"، مشيرة إلى القاموع الذي لا يزال قائماً على أرضها والمعروف بشكله المثلث، والثالثة تربط الاسم بأمير إمارة عرقه.

تُعتبر الهرمل من المدن التي تحمل آثاراً تاريخية تعود للعهود الرومانية والآشورية، مثل القاموع والمغارات التي تعود للعهد الروماني. وتشير الأدلة إلى أن البشر عاشوا في هذه المنطقة منذ قديم الزمان بفضل ينابيعها العذبة ونهر العاصي الذي يمر بها. يُعتقد أن بدايات وجود المدينة تعود إلى ألفين ومائتي سنة قبل الميلاد، وربما كانت بدايتها عبارة عن بيوت متفرقة شكلت في ما بعد نواة لما يُعرف اليوم بالهرمل. تقع المدينة على ضفاف نهر العاصي، مما يرجح فرضية وجودها منذ تلك الفترة.

توجد في المدينة العديد من المعالم الأثرية التي يُعتبر بعضها مصدراً لدراسة التاريخ المحلي، مثل القبور في المغارات وآثار مرور الملك نبوخذنصر في منطقة بربصا، مما يعزّز فكرة أن الهرمل كانت موطناً للبشر منذ العصور القديمة.

كانت منطقة بعلبك الهرمل تاريخياً من أهم المناطق الزراعية في الإمبراطورية الرومانية، بجانب سهل البقاع، حيث كانت تُعتبر إهراءات روما.

ب - بعلبك الهرمل، الحاضر:

أما اليوم، فهي تعاني من نقص الاكتفاء في الذاتي نتيجة الإهمال وغياب سياسة الارشاد والتوجيه الزراعي. في العصر الحديث، تظّل منطقة بعلبك الهرمل جزءاً لا يتجزأ من الكيان اللبناني، رغم التحديات السياسية والاقتصادية والثقافية التي تواجهها.

تشهد المنطقة ارتفاعاً في معدلات البطالة، وانتشاراً للتجار بالمخدرات والمواد الممنوعة، وزيادة نسبة التعاطي بين الشباب. بالإضافة



الهرمل من أعلى، تصوير: كامل جابر، المصدر: المفكرة القانونية

اللبنانيون الشيعة الواقع والرؤيا (١)

من الانخراط في الدولة والكيان إلى الهيمنة عليهما

عباس هدلا



البلدية عام ٢٠٠٤ عندما اكتسح الحزب البلديات بقاعاً وضاحية، وقاسم حركة أمل في الجنوب، إلى أن حدث الزلزال في ١٤ شباط ٢٠٠٥، وتصدر «حزب الله» المشهد كرافعة مركزية لقوى ٨ آذار بمواجهة ثورة الأرز في ١٤ آذار، فكان خروج الجيش السوري في نيسان ٢٠٠٥، اللحظة المفصلية التي أخرجت «السوري» من لبنان كلاعب أساسي، وسلم الدفة إلى «حزب الله» الذي دخل إلى الحياة السياسية اللبنانية من بابها الواسع، كلاعب أساسي وتمدد مع الوقت ليضحي في عام ٢٠٢٤ المهيمن على الساحة اللبنانية، يعطل ويفرض ويأمر، وأضحى لبنان ملحقاً باستراتيجية وحدة الساحات شاء من شاء وأبى من أبى.

أمام هذا الواقع، لم تكن الهيمنة المطلقة التي وصل إليها «حزب الله» في مختلف الميادين على الطائفة الشيعية وليدة ساعتها، إنما كانت بفعل ضعف الثقافة التاريخية للسياسة اللبنانية ولا سيما قيادات قوى ١٤ آذار، فقد كشفت هذه القيادات عن قصور في دراسة الوضع الشيعي وفضلت الدخول في تسويات مع من سيطر على الساحة السياسية الشيعية وإدارة الوجه والظهر للمبادرات الوطنية الشيعية منذ عام ٢٠٠٥، تحت مسميات شتى لعل أبرزها العمل على «لبننة حزب الله» التي نظرت لها وليد جنبلاط عام ٢٠٠٥ وسار بها أقطاب قوى ١٤ آذار، ثم الإقرار بمبدأ «الديمقراطية التوافقية» وإقرار حق الطوائف في وضع «فيتو» على القرارات السياسية في اتفاق الدوحة عام ٢٠٠٨، وصولاً عام ٢٠١٦ إلى إقرار قانون انتخابات على أساس «القوي في طائفته يسود»، فبدل أن يتلبن «حزب الله»، أضحى لبنان قاب قوسين أو أدنى من انضمامه إلى الدولة الإسلامية العامة.

دينية تعتمد على النمطية الإسلامية الأصولية وترفض فكرة العلمنة والمدنية وفرضتها على المجتمع بطريقة جبرية بعيدة عن الحرية والديمقراطية، فكانت الدولة اللبنانية في الضاحية الجنوبية والجنوب وبعكك الهرمل والبقاع الغربي شاهد على تغلغل العادات الإصولية الموجهة على حساب العادات اللبنانية المشتركة بين كل أطراف المجتمع اللبناني، فتحوّلت تلك المناطق رويداً رويداً إلى جزر معزولة عن المجتمع اللبناني، وأضحى اللبناني الشيعي ذو النمط العلماني والمدني غريب عن تلك المناطق، فخرج أغلب العلمانيين من تلك المناطق، أو تكيفت تقيّة فيها.

خلال السيطرة الأسدية على لبنان، لم يكن للسيطرة على الحياة السياسية الشيعية تأثير، بفعل انضباط الكل تحت المظلة المرسومة من قبل النظام الأسدي ووفق التوجيهات العامة والخطوط الحمر التي رسمها هذا النظام للسياسة اللبنانية بمن فيهم من كان يمثل الشيعية السياسية.

بعد إنجاز تحرير الجنوب والانسحاب الإسرائيلي في أيار ٢٠٠٠ ووفاء حافظ الأسد في حزيران من العام نفسه، بدأت تتبدل معايير العلاقة السورية الإيرانية بفعل غياب ضابط أساسي مخضرم للعبة هو حافظ الأسد واستبداله بشخصية ضعيفة وغير متمرسه هي بشار الأسد الذي لم يستطع الخروج من الأهواء العائلية والمالية. وبدأ نظام الأسد الابن يخسر ما حصله نظام الأب داخلياً وخارجياً، فتمدد النفوذ الإيراني في سوريا ولبنان على حساب ما كان مرسوماً قبلاً، فبدأ «حزب الله» في لبنان يتمدد على حساب حركة أمل، وهذا ما ظهر جلياً في الانتخابات

مع تأسيس لبنان الكبير عام ١٩٢٠، وإقرار الدستور عام ١٩٢٦، صدر في ٣٠ كانون الثاني ١٩٢٦ القرار رقم ٣٥٠٣ الصادر عن المفوض السامي دو جوفينيل، وفيه اعتراف بالطائفة الشيعية كطائفة مستقلة يحاكم أبناءها في الأحوال الشخصية وفق المذهب الجعفري، فخرج الشيعة من صفة الطائفة المستضعفة في الفترة العثمانية ليصبحوا شركاء مؤسسين للبنان.

سعى الشيعة للدخول في مختلف الميادين في الدولة الفتية، فأضحى لـ«الطائفة الفتاة» نواب ووزراء وموظفون عموميون، وأضحى أبناءها يدخلون في مختلف ميادين وقطاعات الحياة اللبنانية، وكان هاجسهم الأكبر المشاركة الفعلية والكاملة فيها.

دخل الإسلام السياسي الشيعي إلى لبنان من بابه العريض مع السيد موسى الصدر عام ١٩٥٩، وانتهج نهج الساسة اللبنانيين في المطالبة بحق الشيعة المدني والديني، وكان الشيعة مع ارتفاع نسبة المتعلمين عندهم، وثبوت حجمهم الديموغرافي، وارتفاع صوتهم، يحصلون على الحقوق ويرتفع مؤشر المشاركة والانخراط في الحياة اللبنانية. ومع بداية الحرب الأهلية انخرط اللبنانيون الشيعة فيها بشكل كبير مناصرة للتيار القومي العربي والساري والقضية الفلسطينية وكذلك مناصرة لقضاياهم الخاصة وحققهم في الانخراط في الدولة من خلال حركة المحرومين التي أضحت تنظيمياً عسكرياً شيعياً عُرف باسم «أفواج المقاومة اللبنانية» (أمل) أو حركة أمل ولكنها بقيت تحت سقف الوطن والولاء اللبناني.

وبعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩، بدأ مشروع تصدير الثورة إلى لبنان عام ١٩٨٠ عبر طلائع المجاهدين الإيرانيين لنصرة الجنوب الوافدين إلى لبنان عن طريق الحدود السورية مع السيد حسن منتظري وبرعاية من منظمة التحرير الفلسطينية وحركة فتح، بدأ الوجه اللبناني للشيعة يتغير، وأضحى لبعض منهم مشروعهم الأممي العابر للبنان، وظهرت «أمة حزب الله» ذات الولاء التام لمشروع الدولة الإسلامية العامة تحت قيادة الولي الفقيه والمرشد العام نائب الإمام المهدي والمسدد بغيونه وفكره، فأضحى لهذا المشروع جنوده في الساحة اللبنانية، ودخل الشيعة في لبنان في فترة العزل والتفوق في سبيل جعل لبنان جزءاً من مشروع الدولة الإسلامية العامة، فكانت مواجهات «أمل» و«حزب الله» منذ عام ١٩٨٦ إلى ١٩٩٠، هي الركن الأساسي لوضع المدماك الأول لهذا المشروع، من خلال تثبيت الوجود الذي نجح في وضعه «حزب الله» في الضاحية والبقاع والجنوب على حساب الخيار الوطني اللبناني، المتمثل بـ«حركة أمل» في تلك الفترة، فكانت معارك ضروس ثبتت فيها أمل في الجنوب وسقطت أغلب مناطق الضاحية والبقاع الغربي في يد «حزب الله». ومع إنجاز اتفاق دمشق عام ١٩٩٠، تمّ إقفال هذا الملف، وارتضى الإيراني في لبنان اللعب تحت عباءة نظام حافظ الأسد، ضابط الساحة، الملزم من الولايات المتحدة الأميركية ودول الخليج لبنان بعد بلائه المدورن في حرب الخليج إلى جانب قوات الحلفاء في مواجهة رفاق الحزب والعقيدة في العراق. فكان أن انكفأ مشروع التمهيد للدولة الإسلامية العامة إلى الوراء، وتعقّف الحزب عن مكاسب الدولة، مقابل ترك ساحة الجنوب له يمارس فيها جهاده ويلمّع صورته، ويبنى مؤسساته التربوية والفكرية والاجتماعية والصحية، ويكوّن كائنتونه الداخلي ويفرض نهجه ورؤيته وعاداته وتقاليده على المناطق المنتشر فيها ويعزلها بقضم مرحلي لهذه المناطق ويخرجها من النمطية اللبنانية إلى النمطية المنهجية لنظام الملالي في إيران، فظهر في آب ١٩٩٠ إحياء لجنة «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» في الضاحية الجنوبية لبيروت التي فرضت طبيعة اجتماعية



جغرافيا وسكان

مدينة صور



مدينة صور، المصدر: جنوبية

تقع مدينة صور جنوبي مدينة صيدا على مسافة ٢٨ كلم منها، وعلى مسافة ٨٢ كلم من بيروت. وهي مركز قضاء يضم حوالي المئة قرية مساحته ٥١٤,١٠ كلم مربع وعدد البلديات فيه ١٨ بلدية. مساحة مدينة صور العقارية هي ١٠ كلم مربع.

كانت صور ميناءً فينيقياً قديماً ومركزاً صناعياً، اسمها يعني «الصخرة» وتتكوّن المدينة من جزأين، الأول مركز تجاري رئيسي على الجزيرة والثاني «صور القديمة». تأسست المدينة القديمة، حوالي عام ٢٧٥٠ قبل الميلاد، ونشأ المركز التجاري بعد فترة وجيزة. بمرور الوقت أصبحت الجزيرة أكثر ازدهاراً واكتظاظاً بالسكان. فتح المسلمون العرب مدينة صور زمن الخلافة الراشدة، ثم انتقلت تحت الحكمين الأموي فالعباسي، وفي القرن العاشر سيطر الفاطميون عليها.

في عام ٩٩٠، بعد الدخول الفاطمي إلى المنطقة بحوالي ٢١ سنة، زارها الرحالة الجغرافي المعروف بشمس الدين المقدسي، وأورد: «إن أهل هذه المنطقة وما يجاورها شيعة فاطميون إسماعيليون، ورغم الهوية الشيعية الإسماعيلية، بحسب المقدسي، فإن كتب التراجم أخبرتنا أيضاً عن استمرار وجود شخصيات سنية في صور لاحقاً، كالمصوّف أحمد بن عطاء الرودباري، وأبي عبد الله محمد بن علي بن عبد الله الصوري ورابط فيها الفقيه الشافعي سليم بن أيوب الرازي، وهو أول من نشر الفقه فيها. ومن الشخصيات الشيعية المميّزة التي أنجبها صور الشاعر عبد المحسن الصوري الذي لم يتردد رغم اثني عشره في مدح بعض الخلفاء الفاطميين. وفي منتصف القرن الحادي عشر، زار الرحالة ناصر خسرو المدينة، وذكر أن معظم سكانها شيعة.

وعام ١٠٧٠ أسس عين الدولة بن أبي عقيل، وهو نجل قاضي المدينة السني، إمارة مستقلة عن الفاطميين في صور، إمارة حاولت كطرابلس، أن تأخذ دور الحيد في الصراع الفاطمي السلجوقي.

لكن بعد وفاة عين الدولة عام ١٠٨٩ سلّم أولاده المدينة للفاطميين مجدداً.

ولئن كانت صور قاعدة الأسطول الفاطمي، حُوصرت من قبل الصليبيين براً وبحراً، ابتداءً من عام ١١١١، فاضطرّ إليها الفاطمي إلى طلب المعونة من أتاك دمشق فأجده، وأضحت المدينة تحت إمرته حتى عام ١١٢٤، حين استسلمت للصليبيين وخرج منها كثيرون من السكّان والجنود. وكان لذلك تداعيات كثيرة، فنزح العديد من سكّانها الشيعة باتجاه الداخل، فعمر جبل عامل أكثر من ذي قبل. ورغم تعرضها للحملات المملوكية منذ عام ١٢٦٦، لم يخرج الصليبيون منها نهائياً إلا عام ١٢٩١. وبعد سقوطها، وكحال طرابلس قبلها، هدم المماليك أسوارها وخربوا أبنيتها بذريعة منع عودة الصليبيين إليها.

في الفترة العثمانية خضعت صور كما غيرها للحكم العثماني واستمرت حتى بداية القرن العشرين عشية إعلان دولة لبنان الكبير. في حوالي عام ١٧٥٠ بدأ حاكم جبل عامل الشيخ ناصيف النصار من سلالة علي الصغير الشيعية، باستحداث عدد من مشاريع البناء لجذب سكان جدد إلى المدينة شبه المهجورة. ومن بين مشاريع النصار إنشاء سوق، وتم تحويل قصر المعني إلى حامية عسكرية، وأمر النصار بإنشاء مقر له في السراي في الميناء الشمالي، والذي يضم اليوم مقر الشرطة. ولا يزال برج المبركي العسكري من عصر النصار قائماً إلى اليوم.

حين زارها جون كارن عام ١٨٣١ قال: «تشتمل مدينة صور المعاصرة على جملة مباني حجرية جيدة، يبلغ عدد سكانها ألفين. وفي صور جامع وسوق وثلاث كنائس بائسة».

عندما زارها روبنسون عام ١٨٣٨ ثم في ١٨٥٢ كتب عنها: «أما صور الحالية فليست سوى سوق للبيع والشراء ومرفاً بحري صغير، فيها حمام واحد، ولا تكاد تستحق اسم مدينة. [...] و أكثر بيوتها أكواخ صغيرة، والقليل منها يزيد على دور واحدة». وذكر أن عدد سكانها يقل عن ثلاثة آلاف نفس كما تحدّث عن خراب قسم من سورها بسبب زلزال ١٨٣٧.

أما المؤرخ الشدياق (توفي ١٨٥٩) فقال عنها: «الآن أكثرها خراب». ثم ارتقت صور وأصبحت مدينة وأسست فيها بلدية سنة ١٨٨٠. ومع عشرينيات القرن الماضي شهدت صور تطوراً عمرانياً وحضارياً.

سادة من شحور، وآل فرّان أصلهم من تبنين وقبلاً من النبطية مقدار خمسين بيتاً، آل الأشقر (الظاهر أنهم من جبل لبنان مسيحيون موارنة)، آل الزين من قبريخا، آل شعبان سنة وشيعة أصلهم من آل بيضون يُنسبون إلى الحاج شعبان بيضون، آل نزال وآل نجيدة من صريفا، آل عكنان أصلهم أتراك، آل قصاب من الفوعة كانوا يُنسبون إليها فيقال الفوعاني، وبما أن مهنتهم الجزارة قيل آل قصاب، آل السوقي أظن أن أصلهم دروز من الشويفات، آل زيدان من معركة، آل سعد من معركة، آل عز الدين من حناوية، آل ياسين من بيت زيدان يُنسبون إلى الحاج ياسين زيدان، آل فاخوري شيعة وكاثوليك، آل بحسون أصلهم إيرانيون، آل قرعوني من البازورية، آل هاشم عباس من دير سريان، آل حكيم من الحنية، آل جابر من يانوح قليلون، آل سكيكي كثيرون من دير قانون رأس العين وعين بعال، آل الشغري أظنهم أتراك، آل السمرة في صور شيعة وفي صيدا سنة، آل حلاق أظنهم أتراك، آل بحر نسبة إلى امرأة قدمت من البحر فنُسبوا إلى البحر!!، آل كريت، من مدينة رشيد من مصر، آل عطوي من بنت جبيل، آل دوق أكراد من الصالحية، آل الكردي من أصل كردي، آل الدلاني من البازورية، آل حب الله من شقراء، آل نعمة الشيعة من جباع وحبوش، آل نعمة سنة أتراك، آل العجمي من العباسية، آل قشاقش، آل حيدر من جويّا نسبة للسيد حيدر من جويّا، آل دهيني من طورا، آل حايك، آل عابد، آل جهمي من مصر، آل بيطار وآل خضرة وآل صفي الدين من شمع ثم دير قانون، آل حجازي كثيرون، آل جيبيي كلهم شيعة، آل عيسى رهط الشيخ محمد عقيل إيرانيون، آل فقيه، رهط الشيخ أحمد الزين فقيه من المنصوري، آل عوضة من برج الشمالي، آل سقوق من حناوية، آل غبريس من برج رحال وأصلهم من البابلية، آل قدسي الظاهر أنهم من القدس قليلون، آل شميساني من الناقورة أصلهم من النبطية، آل حاجو من أصل تركي، آل قصير من دير قانون، آل فرحات من برعشيت، آل أبو خليل من القليلة، آل نصر الله عامية، آل مرتضى من بعلبك، آل بوصي من بنت جبيل وآل أمين من الطيبة، ليستنتج أن «كل أهل صور من خارجها حتى أكثر النصارى». وأكبر عائلاتها: صفي الدين، حلاوي، حجازي، خضرة، حب الله، فاخوري فهم من الشيعة.

في عام ٢٠١٤ بلغ عدد الناخبين ٢٩٤١٠ ناخباً، وفي عام ٢٠٢٢ بلغ عدد ناخبها ٣٠٦٦٤ ناخباً بينهم ٢٠ ألف ناخب شيعي.

أحياء صور كانت موزعة على تسعة، هي: حي الحسينية، حي الجورة، حي الجامع، حي الأرثوذكس، حي المصراوي، حي المنارة، حي الموارنة، حي البص، حي البساتين وحي الرمل وهو حي حديث نسبة للأحياء السابقة.

بعد إنشاء لبنان الكبير وفي قاموس لبنان المأخوذ عن إحصاء ١٩٢٤ كانت مدينة صور مركز محافظة صور وعدد سكانها ٤٥٦٥ نسمة بينهم ٢٢٢٩ شيعة.

قدّر غفيف مرهج في موسوعة «عرف لبنان» عدد سكانها في عام ١٩٧١ بـ ٢٠٠٠٠ نسمة. أما يوسف العنداري في «دليل القرى والمدن اللبنانية» فقدّر عددهم نفس العام بالعدد ذاته، ثم تم تقديرهم في عام ١٩٨٦ بحوالي ٤٠.٠٠٠. إلا أن إبراهيم آل سليمان يكتب أن عددهم كان في عام ١٩٨٠ حوالي ٦٠ - ٧٠ ألفاً.

في عام ١٩٩٠ ينقل أحد التقارير أن عدد القاطنين في المدينة يبلغون حوالي ٨٠ ألف نسمة ويدخل إليها يومياً ما يزيد عن ٢٠ ألف نسمة من الجوار وأصحاب المصالح. ويتوزع السكان على كافة المذاهب: شيعة، سنة، موارنة، كاثوليك، بروتستانت، لاتين، أرثوذكس. كان تعداد سكان المدينة في عام ١٩٩٥ حوالي ٩٥ ألف نسمة.

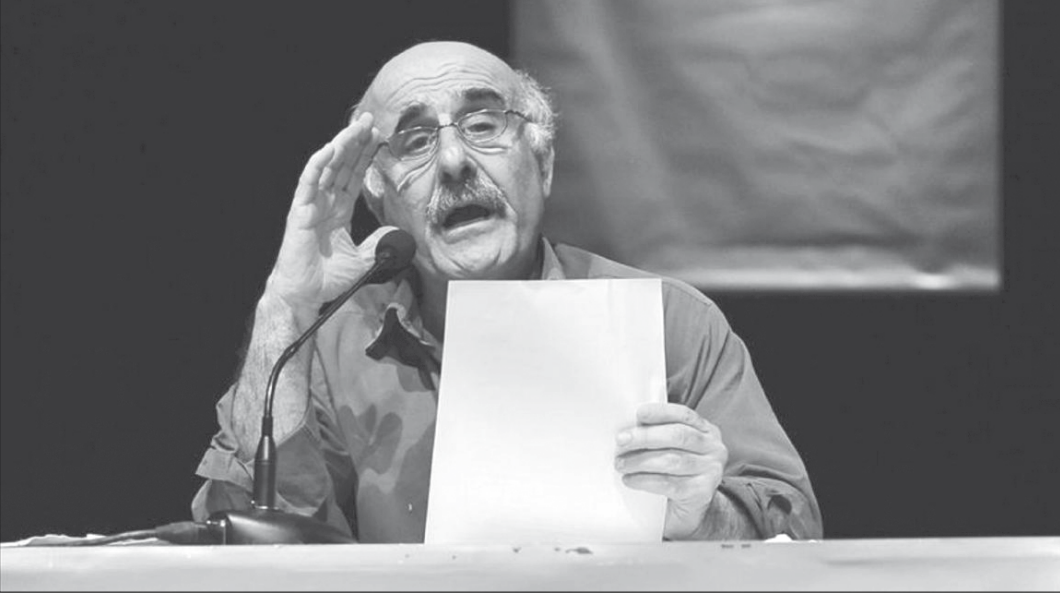
أما في بداية الألفية فوصل عدد أهاليها المسجلين قرابة ٦٠ ألف نسمة من أصلهم حوالي ٢١ ألفاً مسلمين، ٥٥٪ منهم شيعة، ١٥٪ سنة، والباقيون مسيحيون من مختلف الطوائف. أما إجمالي السكان فبلغ حوالي ٧٥ ألف نسمة».

«أما من ناحية الهجرات فتحدث التقارير سابقاً عن حوالي ٢٠٪ من مجموع السكان. وتقول المصادر التاريخية أن الهجرة الحديثة بدأت في فترة الحرب العالمية الأولى وغادر المدينة خلال الفترة المذكورة ٥٠٠٠ شخص إلى البلاد الأجنبية خاصة إلى الولايات المتحدة الأميركية، وبعد الانتداب الفرنسي اشتدت الهجرة وبلغ عدد المهاجرين من المدينة والقضاء خلال عام ١٩٣٧ (٨٩٠٤) أشخاص». لذا فإن الهجرة متقدمة في صور. وقصد أبناءها باكراً باتجاه أفريقيا.

يسرد إبراهيم آل سليمان عائلات صور وأصولهم فيكتب: «آل الخليل وأصلهم من معركة، وآل حلاوة وهم دروز من الشوف [المقصود أنهم دروز في الأصل] وآل المملوك سنة أصلهم من مصر من المماليك ويكادون ينقضون، وآل شرف الدين

فكر وثقافة

عباس بيضون



عباس بيضون، المصدر: العربي الجديد

عشرة من سلسلة بيضون الشعرية وقد حازت على جائزة المتوسط عن فئة الشعر. في هذا الديوان حضور للحوادث اليومية من حرب تموز إلى التظاهرات والاعتصامات السياسية وصولاً إلى الاغتيالات وسقوط بغداد، وزرع العبوات، وعن إحداها يكتب: «وجدوا عبوة في منطقتنا انفجرت قريباً وتركت جرحى اختفت أسماؤهم بعد قليل [...] سيكون للعبوة الشكل الذي تحطّمه، وحين ننظر إلى وجوهنا المرعوبة في المرآة ونخاف من أسناننا، نفهم ماذا يحدث حقاً لرأسٍ لم ينفجر»، «بطاقة لشخصين»، عن «دار الساقى» (٢٠٠٩) وفيه يستحضر بيضون الشاعر الراحل بسام حجار ويكتب لصديقه عبد اللطيف سعد؛ و«صلاة لبداية الصقيع» عن «دار الساقى» (٢٠١٤)؛ و«ميتافيزيق الثعلب» وفيه: المتحولون يدخلون مسلّحين / أكلوا الشوك / أكلوا الطربان والقنفاذ / المتحولون / خرجوا لتوهم من الحريق / التي ترك أوشام نباتات / على جلودهم / عقود من الأنياب / مدلاة على صدورهم / جاؤوا من الخنادق / حيث أُعيد بناؤهم / من أكياس الرّمْل / ورُكبت أقفاص / على شاشات عيونهم / دفنوا بناتهم في الحياة / وأكلوا بقايا التمر / واختاروا آلهتهم من قطاع الطرق / وحين ضلّوا السبيل / صرخوا "حيرتنا أيها المسخ" / رتبوا أضلاعهم مقاعد / أخرجوا الابن الشهيد / من أمتعتهم وجلسوا عند رأسه / يدخنون في وجهه / ويسقونه من أيديهم»، صدر الكتاب عن «دار الساقى» (٢٠١٧)؛ «الحداد لا يحمل تاجاً» (٢٠٢١). وفي الرواية، صدر له: «تحليل دم» (٢٠٠٢)؛ و«مرايا فرانكشتاين» (٢٠١١)؛ و«ساعة التخلّي» (٢٠١٣)؛ و«خريف البراءة» رواية (٢٠١٦)؛ و«بين بايين» (٢٠٢٠).

مارس عباس بيضون الكتابة الصحفية، وشغل بيضون منصب مدير التحرير المسؤول في الصفحة الثقافية في جريدة «السفير».

ابن مدينة صور المولود عام ١٩٤٥. تلمذ على يد والده الكاتب محمد زكي بيضون، ودرس الأدب العربي في الجامعة اللبنانية في بيروت، سافر إلى باريس وحصل على الماجستير من جامعة السوربون.

من دواوينه: «صور» (١٩٨٥)، الصادر عن مؤسسة الأبحاث العربية، كتب فيه الياس الخوري عند صدور أن شعر «عباس بيضون يدخلنا إلى الأسرار، إلى مدينة الذاكرة والحنين التي اسمها صور. نكتشف المدينة من جديد لا بوصفها مدينة، بل بوصفها أجزاء من الجسد. ومع المدينة الجسد نكتشف اللغة من جديد. اللغة التي لا تصف الأشياء بل تحاول أن تكونها. لغة الداخل الصاحب، لغة الإيقاع والحزن والذاكرة، والحلم والطفولة. كأننا أمام لغة جيدة. وفي اللغة نقرأ الحكاية. وحكاية عباس بيضون مع صوره ليست حكاية. يحكي كي يلغي الحكاية. يحكي كما الذاكرة التي لا تتذكر بل تستنبط من اللحظات الماضية لحظات جديدة». تلك القصيدة صدرت في كتاب بعد عشر سنوات على كتابتها.

يكتب بيضون فيها عن مدينته صور: «وَخَاناً لِلْمَسَافِرِينَ / لَا يَتَسَعُّ نَهَارُكَ لِلْبِنَاءِ / وَلَا يَكْفِي لَيْلُكَ لِلْأَخْلَامِ / لَمْ تَكُنْ نُجُومُكَ كَبِيرَةً / وَلَا قَمَرُكَ لَمِعاً / لِيَذَا كَانَ بَخَارَتُكَ يَسْقُطُونَ عَلَى السَّلَامِ / وَجُنُودُكَ يَجْتُمُونَ فِي الْأُبْرَاجِ / عَلَى الْقَوَارِبِ الْمُتَبَعِدَةِ / كُنَّا نَرَى السَّمَاءَ الْوَاسِعَةَ / وَنُعْنِي وَنَتَسَاءَلُ / كَحَشَرَاتِ الْكُرُومِ / نَرْقُصُ فِي النَّسِيمِ الْخَفِيفِ / وَنَرْفَعُ قَصَائِدَ وَحُبّاً / لِلْوَاتِي لَا يَصْعَدُنْ إِلَى الشَّرْفَاتِ / تَكْفُ الرُّطُوبَةُ رِيَاحَكَ / لِيَذَا لَا تَشْتَعَلُ عَلَى سُفُوحِكَ النَّبْرَانُ الْكَبِيرَةُ / لَكَ قَلْبٌ سَمَكَةٌ وَرُوحٌ طَيْرٌ بَحْرِي / لِيَذَا تَتْرَكِينَ مَوْتَاكَ عَلَى الصُّخُورِ وَتَسْقُطِينَ مِنْ صَرْبَةِ الْمَجْدَافِ [...] أَنْتِ صُورُ النَّبْرِ السَّقَطَتْ / مِنْ جَيْبِ التَّارِيخِ / كَيْفَ تَبْقَيْنَ عَلَى الرَّمَالِ / كَالْعَلْبَةِ الضَّائِعَةِ؟ / مَنْ يَدْفَعُكَ ثَانِيَةً إِلَى الْبَحْرِ؟ / مَنْ يَحْمِلُ شَجَرَةَ إِلَى شَوَارِعِ الْمَسْقُوفَةِ؟ / مَا زَالَ الصَّيْدُ مُتَّصِلاً عَلَى جَبِينِكَ / وَجَبِينِكَ يَنْتُنُ مِنْ رَائِحَةِ الصَّيْدِ / وَالذَّمَاءِ الْبَارِدَةِ / مَا زَالُوا يُخَوِّفُونَ التَّلَامِيذَ مِنَ الْبَحْرِ / وَالصَّيَادِينَ مِنَ الْكُتُبِ».

وقد أعاد بيضون إصدار جزء ثانٍ من القصيدة - الكتاب عام ٢٠٢١ عن «دار النهضة العربية».

كانت قصيدة صور المجموعة الأولى التي كتبها عباس بيضون إلا أن كتاب «الوقت بجرجات كبيرة» صدر قبلها في عام ١٩٨٢.

وفي عام ١٩٩٢ نشر «حجرات» الصادر عن «دار الجديد» وفيه: «المطر يقع بلا اكرات / على حياتي / المضاءة دائماً كالزنانة التي أغادرها الآن / لم يعد لي منها سوى الباب / لم أداوم على سكنها / كانت لي منازل أصدقائي منذ تلك الليلة / لم أعد بستاني حياتي / ظلّ العشب الضارّ ينبت من العشب / لم يقتلع أحد الحماقات التي عصيت جذورها / لم أعد بستاني حياتي / إنني أتركها للزلاء مسرعين وأصدقاء استحقوا بخيانتهم»؛ وصدر له أيضاً «أشقاء ندمننا» عن «دار النهار» عام (١٩٩٣) وفيه: «قطرات كبيرة على الزجاج، كوجوه مقلوعة من ذاكرتي، إنه وقت تذبذبة المطر»؛ وكذلك كتاب «الموت يأخذ مقاساتنا» الصادر عن «دار الفارابي» عام (٢٠٠٨)، وهي المجموعة الخامسة



MENA PRISON FORUM
مُنْتَدَى الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ
لِلشُّعْرَانِ السُّجُونِيِّينَ

www.menaprisonforum.org



فَهْرَسْتُ كُتُبَنَا مِمَّا لِلتَّوْبِيحِ وَالْإِحْيَاءِ
Directory of UMAM D&R books, periodicals and collections

www.umambiblio.org



دليل اللبنانيين إلى السلم والحرب
ديوان الذاكرة اللبنانية

www.memoryatwork.org



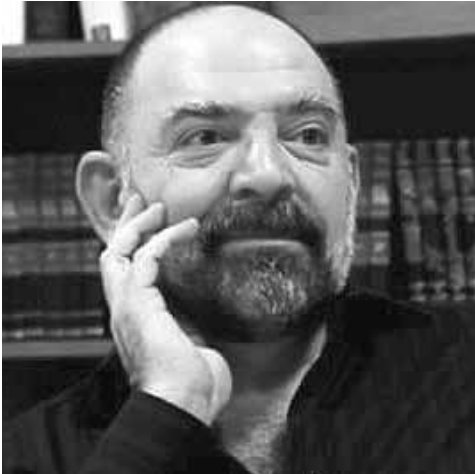
مُنْتَدَى الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ
لِلشُّعْرَانِ السُّجُونِيِّينَ
Documentation & Research

www.umam-dr.org

تحية للقمان

هنا المقبرة التي يشاهدها العالم بصمت

باسل ف. صالح



هكذا تعود بي الذاكرة لإحدى المرات القليلة التي التقيت لقمان فيها، منذ أقل من سنة، حين أكد المؤكد: كلما اشتدت المواجهة كلما سنشهد حالات عنف. سيذهبون إلى الحل الأمني. كلما حوصروا، كلما جنّ جنونهم. شعرت إنه يبالغ يومها، ربما بسبب قلة حجمنا، أو بسبب كبر حجمهم. لكن ها هو الخبر اليقين اليوم، كيف لا وجنونهم له جمهور؟ كيف لا وحصارهم له كاسحات؟

إننا أمام حرب شاملة على الناس، أعلنوها دون مقدمات. حرب اجتماعية لحظة صادروا العمل وقرروا نهب الدولة والسكوت عن سرقة أموال المودعين، ومستقبلهم، وماضيهم، وحاضرهم، وأولادهم، وعائلاتهم،

وتعبهم. حرب سياسية حين أغلقوا المؤسسات، وقوّضوا الديمقراطية وتداول السلطة والتمثيل الشرعي، وبعد أن أعلنوا عداؤهم للشعب حين حرموا نظاماً فاسداً ومجرماً وأعلنوا أنه لن يسقط. حرب كيميائية منذ أن لوثوا الهواء والماء، ولاحقاً فجروا المرفأ. والآن أعلنوها حرباً شعواء، حرباً بطعم آخر، بإخبار، بكتام صوت، برصاص حي، على منوال ثمانينات لبنان، على منوال آخر سنوات العراق، وعلى منوال الحرب على الشعبين اليمني والسوري وحرياتها.

هكذا ببساطة، عندما تتداعى هذه الأنظمة، تبدأ هي وميليشياتها باستخدام كل الوسائل التي تؤكد على ميليشياويتها. تلاحق الكلام، الأفكار، الأحرف، ذرّات الهواء، تمارس قمعها في الفعل، وتكرّس قمعها لرد الفعل.

هكذا ببساطة، وبمجانبة، سيمعنون بما يقومون به ويفقهونه جيداً، وسنموت اليوم أو في الغد، لا فرق. لا تبخثوا عمّن نفذ، لا تتعبوا أنفسكم لأنكم لن تجدوه. انظروا إلى من أتهم، إلى من كتب «المجد لكاتم الصوت»، إلى من فتح وشرّع باب أمننا الشخصي أمام كل من يريد أن يقتل، انظروا إلى من سمح بكل هذا. انظروا إلى كل كاتم صوت يستبيح يومياتنا ويعلن عن حقه، وكرهه، وينثر قيّحه وكل يقينياته. هنا المقبرة التي يشاهدها العالم بأكملها، حين تموت قبل أن تموت، حين تُقتل قبل أن تُقتل، حين تُدفن قبل أن تُدفن، حين تُمنع من التفكير والتعبير، حين تُمنع من التلفظ، حين تُمنع من الاحتمال بحجة الاحتمال الواحد، الحصري، المطلق.

نُشرت في موقع ميغافون في ٥ شباط ٢٠٢١

مات لقمان سليم وهو يشير إلى قاتله. مات البارحة بخمس رصاصات، واحدة أودت بحياته، والبقية بطيفه، بفكرته، بإمكانية تكراره. هكذا كان يخشى القاتل ضحيته، فهو لم يرد قتله فحسب، بل أراد قتل كل احتمالات بقائه حياً ولو في وجدانه. هذا الرعب الذي كان يخلقه لقمان، كل لقمان، في وعيهم ولاوعيهم، في السوسولوجيا والسيكولوجيا، في التاريخ كذلك.

القاتل جبان مرتين، مرّة بالقتل في الظلمة، ومرّة بالإنكار في النور. القاتل يتعدّى جُبنه ليعلن عن ذلّه ووضاعته. يُطلق الرصاصة الأولى فيرديه، يعود ويكرّر الثانية والثالثة والرابعة والخامسة ليُردي كل ما يمكن أن يحمل احتماله.

لكن موت البارحة أتى متأخراً. كلنا يعلم ذلك، هو مجرد فعل مادي مباشر كان قد سبقه أفعال قتل أخرى علنية حيناً، ومضمرة أحياناً. أفعال قتل كان قد وثّقها لقمان سابقاً. موت البارحة كان إجهازاً، والمتهّم يتخطى من نفذ وأطلق الرصاصات. القاتل هو ثقافة وجمهور استباح صفحة لقمان بعد مماته، ويستبيح صفحاتنا ونحن أحياء. القاتل هو من عبّد ويعبّد الطريق أمام هذا القتل، وأمام كل تنفيذ. فلم يعد هناك أي أهمية لدليل حي مباشر يختبئ خلفه، لأن القاتل كان قد أعلن عن نفسه مسبقاً، هو ذلك الذي يخون، ويتهّم، ويهدّد دماً، ويهدّد، ويحاكم، هو من عبّد الطريق أمام الوسيلة، فتخطى الغاية. القاتل هو من يعمن في قتلك، في تصغيرك بحجة الأحلاف الكبيرة، في تفتيهك، في تسخيفك وتسخيف تهديديك، وفي قتلك بحجة المعادلات الكونية. القاتل هو حاقد مسبق، آلة قتل محشوة أمام أي حرارة جسد، وأي شكل من أشكال الحياة.

القاتل هو كل من يسمح لجمهوره تهديد الناس، إن في جريدة، أو على منبر ومنصة، وهو دولة لا تحرك أجهزتها الأمنية والقضائية أي ساكن. هذا هو بيت القصيد اليوم. هناك فعل اغتيال يومي، واقع على كل واحد منا، وهناك دولة بوليسية تكثف القمع والترهيب لتتستر على فعل القتل والمجرم حيناً، ولتمارسه هي أحياناً. فحين أطلقت النيران على المتظاهرين مباشرة، كانت تغتال. حين استخدمت الرصاص الحي في طرابلس وفي بيروت، كانت تغتال. حين اتهمت التظاهرات هنا، والاعتصامات هناك، كانت تغتال. لكن اغتيالنا لنا مشروع، والتستر على اغتيال الآخرين لنا إباحة.

شاهدنا بالصوت والصورة كيف أطلقت النيران على الطرابلسيين مباشرة منذ أيام، من أمام القوى الأمنية والعسكرية المتواجدة، دون أن تحرك الدولة أيّاً من أجهزتها لملاحقتهم. بل لاحقت كل من مارس حقه بالدفاع عن النفس، من غير عن سخطه. لاحقت الأطفال والمراهقين والشباب أشباح الفقر والجوع والتعب. والدولة لم تحرك أجهزتها لملاحقة عصابات تجتاح المتظاهرين والمعترضين سلمياً، ولم تُلاحق من فقأوا أعين المحتجين. هكذا ببساطة، شاهد العالم أجمع كيف تقدّم أحدهم إلى زاوية، احتفى خلف جدار، رفع مسدسه، أطلق النيران على كل من في الجهة المقابلة، أعطب متظاهراً، شلّه، أماته، لا مشكلة، هذا فقير فقط، هذا لقمان منهم.

سير التحقيق

العدالة للقمان

رئيساً والقاضيين فرانسوا إلياس وفادي العريضي مستشارين، قراراً بالموافقة على طلب النائب العام التمييزي، وأحالت الملف إلى النائب العام التمييزي لإجراء المقتضى القانوني.

١٨ حزيران ٢٠٢١: أحالت النيابة العامة التمييزية على النيابة العامة الاستئنافية في بيروت ملفاً مقتل الناشط والكاتب السياسي لقمان سليم، وأحيل الملف على قاضي التحقيق الأول في بيروت بالانتداب شربل أبو سمرا.

١٢ أيار ٢٠٢٣: أوردت محطة الجديد في برنامج يسقط حكم الفاسد خبراً عن تحويل قاضي التحقيق في بيروت شربل أبو سمرا كتاباً إلى النيابة العامة التمييزية للطلب من السلطات الألمانية تقديم ما لديها من كاميرات ومستندات تفيد التحقيق...

ورد في موقع «المدن» في ٧ أيلول ٢٠٢٣ أن قاضي التحقيق الأول في بيروت، شربل أبو سمرا تنحى عن متابعة التحقيق في ملف اغتيال لقمان سليم لأسباب خاصة، وحُوّل طلب أبو سمرا للرئيس الأول لمحكمة الاستئناف، القاضي حبيب رزق الله، وذلك بغية النظر في قرار تنحيه وفي «الأعداء» أو الأسباب التي شرحها وعرضها أبو سمرا للقاضي رزق الله. يذكر أن قاضي التحقيق الأول شربل أبو سمرا سيحال على التقاعد في التاسع من تشرين الثاني ٢٠٢٣.

كلف الرئيس الأول لمحكمة الاستئناف في بيروت حبيب رزق الله، وعملاً بالصلاحيات، القاضي بلال حلاوي بمهمة قاضي التحقيق الأول في بيروت بالإجابة، خلفاً للقاضي شربل أبو سمرا الذي أحيل على التقاعد في العاشر من تشرين الثاني ٢٠٢٣ بعد بلوغه السن القانونية، وتولى حلاوي خلفاً لأبي سمرا متابعة التحقيق والمحاكمة في قضية اغتيال لقمان سليم.

لا يزال التحقيق «مستمراً» حتى يومنا.....



الفاعلين وتوقيههم. وأحال الادعاء على قاضي التحقيق الأول في الجنوب مارسيل حداد.

١٩ أيار ٢٠٢١: تقدم النائب العام التمييزي القاضي غسان عويدات أمام محكمة التمييز الجزائية - الغرفة السادسة، بطلب نقل ملف الدعوى القائمة أمام دائرة التحقيق في لبنان الجنوبي بموجب ورقة الطلب رقم ٢٠٢١/٢٠٩٤ إلى دائرة التحقيق في بيروت سندياً لأحكام المادة ٣٤٠ م.ج، وأدلى بأن التحقيق والمحاكمة في قضية خطف المغدور لقمان سليم وقاتله في الجنوب قد تشكل سبباً لزعزعة الأمن أو تهديداً للسلامة العامة نظراً للتشابه السياسي في المنطقة والموقع الجغرافي للمحاكمة ولا سيما أن خطر استعمال إجراءات التحقيق أو المحاكمة في القضية المذكورة للبعث في الأمن الداخلي، يبقى قائماً في ظل الأوضاع العامة في البلاد، لا سيما الجنوب.

١٧ حزيران ٢٠٢١: في حضور ممثل النيابة العامة، أصدرت محكمة التمييز الجزائية - الغرفة السادسة، برئاسة القاضي سهيل الحركة

٣ شباط ٢٠٢١: اغتيال لقمان سليم في سيارته في منطقة العدوسية أثناء عودته من نبحا في جنوب لبنان.

٤ شباط ٢٠٢١: كلف النائب العام الاستئنافية في الجنوب القاضي رهياف رمضان الأدلة الجنائية والطبيب الشرعي الدكتور عفيف خفاجة للكشف على جثة وسيارة لقمان سليم.

٤ شباط ٢٠٢١: كلف النائب العام الاستئنافية في الجنوب القاضي رهياف رمضان فرع المعلومات بإجراء مسح كامل للكاميرات لمعرفة المسار الذي سلكته سيارة لقمان سليم قبل اغتياله وبتفريغ «داتا» هاتفه الخليوي وتحليلها.

١١ شباط ٢٠٢١: رأس النائب العام الاستئنافية في الجنوب القاضي رهياف رمضان، في مكتبه في قصر العدل في صيدا، اجتماعاً أمنياً موسعاً مع قادة الأجهزة الأمنية والعسكرية في الجنوب، وذلك لمتابعة مسار التحقيقات في جريمة قتل الناشط لقمان سليم. وجرى خلال الاجتماع «تأكيد مواصلة التحقيقات والتنسيق التام ما بين الأجهزة الأمنية للتوصل إلى كشف الفاعلين».

٢٨ نيسان ٢٠٢١: لفت مكتب وزير الداخلية والبلديات في حكومة تصريف الأعمال محمد فهمي حول قضية اغتيال لقمان سليم إلى أن «أي جديد لم يظهر في القضية لدى الأجهزة الأمنية اللبنانية إطلاقاً»، متمنياً «تزويد الأجهزة الأمنية بأي معلومة قد تخدم مصلحة التحقيق».

١٨ أيار ٢٠٢١: النائب العام الاستئنافية في الجنوب القاضي رهياف رمضان إدعى في جريمة اغتيال لقمان سليم والتي وقعت في ٤ شباط الماضي في بلدة العدوسية، على مجهولين بخطف سليم بقوة السلاح وقتله بواسطة أسلحة حربية غير مرخصة وذلك سندياً للمادتين ٥٦٩ و ٥٤٩ من قانون العقوبات والمادة ٧٢ من قانون الأسلحة، وإصدار كل مذكرة يقتضيها التحقيق لمعرفة هوية